المقتطف

الجزء الرابع من المجلد الخامس والثلاثين

١ اكتوبر (تشرين الاول) سنة ١٩٠٩ — الموافق ١٧ رمضان سنة ١٣٢٧

الطعام الكافي

يزعم البعض ان الكلام على الطعام ليس من الكياسة في شيء بل هو من ملاهي اهل البطنة. لكن زعمهم هذا لا يضعف شأن الطعام ولا يغير الحقيقة المقررة وهي ان بالطعام قوام الحياة وان مجموع اعمال الناس الجسدية واشغالهم العقلية ناتج من طعامهم. وان الاقوام الذين لا يعنون بامر طعامهم بل يكتفون بما حضر منهُ و يبلغون به تبلغاً تضعف اجسامهم وعقولهم وان الامم لتتفاوت بين قوية وضعيفة وغالبة ومغلوبة وسائدة ومسودة حسب مقدار طعامها ونوعهِ فالتي تشبع من الطعام وتأكل اللحوم وما ماثلها من الاغذية غالبة سائدة والتي لا تشبع منهُ ولا تأكل كفافها من اللحوم وما ماثلها مغلوبة مسودة

بقي ان الزائد اخو الناقص من وجوه كثيرة فكما يضعف الجسم والعقل من قلة الطعام يضعفان ايضاً من كثرتهِ اذا فاقت الحد ولكن القلة شائعة اكثر من الكثرة فامم كثيرة لا تكاد تجد ما يكفيها من الطعام وافراد قليلون يأكلون فوق كفافهم لان الاقلال من الطعام يأتي الناس قسراً واما الاكثار منهُ فلا يستطيعهُ الا قليلون وهو خاضع لارادتهم. والذين يموتون جوعاً يعدون بالوف الالوف واما الذين يموتون من البطنة فقلال جداً كما سيجيء

قمن رأى الانكليز في بلادهم يجلس الواحد منهم على المائدة في الصباح وامامهُ السمك واللحم من الضان والبقر والخنزير والطير والبيض والزبدة والمربيات فوق الشاي والقهوة والكاكاو حسب انهم غيلان فيأكل الواحد منهم في صباحهِ ما يأكلهُ غيرهُ في يومهِ ثم يتغدون ويتعصرنون ويتعشون وهم مع ذلك متنعمون بصحة لا اجود منها ونشاط لا اقوى منهُ. يبلغ الواحد منهم السبعين والثمانين وقامتهُ منتصبة ووجههُ مورَّد وعيناهُ برّاقتان وهم كذلك رجالاً

ونساء ومعدل اعمارهم اطول من معدّل اعمار غيرهم واذا اخذوا في اعمالهم عملوا فيها بنشاط ما فوقهُ نشاط فكثرة الطعام لا تضرُّهم على ما يظهر

كنا مرةً في الشمال الغربي من بلاد الانكليز واستأجرنا مركبة كبيرةً للنزهة مما يجرهُ ستة افراس وتأخر السائق عن الحضور في الصباح وكان يسكنُ قريباً من الفندق الذي كنا فيهِ فناديناهُ فسعجلهُ فوجدناهُ جالساً على مائدتهِ مع زوجتهِ واولادهِ يأكلون اللحم والبيض ويشربون الشاي واللبن ثم جاء وساق المركبة في اراضٍ جبلية تعلو الطريق فيها وتسفل وازمّة الافراس الستة في يدهِ وهي من الخيول الانكليزية الكبيرة كانهُ يسوق حماراً او اثنانِ ووصلنا الى فندق عند الظهر فأكل مضاعف ما يأكلهُ الرجل منا . وعند العصر اوقف المركبة امام اول مطعم وصل اليهِ واكل ما يشبع رجلاً من الخبز والزبدة وشرب كأساً كبيراً من اللبن . وكان لسان حالهِ يقول انظروا بماذا تغلّبنا على ربع المسكونة بقوة اجسامنا وعقولنا المستمدة من كثرة طعامنا

وفي الشتاء التالي زارنا رجل من كبار العلماء وكان في الرابعة والثانين من عمرهِ وتناول كأساً من الشاي ثم عُرضت عليهِ كأس ثانية فتبسم وقال تسألونني كيف بقيت متمتعاً بهذه الصحة وقد جاوزت الثانين السرُّ في ذلك انني لا ارفض كأساً ثانيةً من الشاي . الكلام مزاح ولكنهُ لا يخلو من حقيقة لان الرجل مثل غيرهِ من ابناء جلدتهِ يحوّل كل ما يستطيع جسمهُ تحويلهُ من الطعام الى قوة جسدية وعقلية

ولا يخفى ان البعض من العلماء في اوربا واميركا قاموا ينادون بان الاكثار من الطعام ضرر محض وان في الاقلال كل الفائدة وقال غيرهم ان معظم الضرر من اكل اللحوم على انواعها وان الطعام النباتي كافٍ وافٍ بالمراد . ولا شبهة عندنا ان الاكثار من الطعام حتى تعجز المعدة والامعاء عن هضمهِ مضرٌّ لانهُ يتعب الجسم ويعرضهُ للامراض ولان الطعام الذي لا يهضم لا يتغذى الجسم بهِ فيذهب سدًى فوق ما ينال الجسم منهُ من الضرر ولكن لا شبهة عندنا ايضاً ان الطعام الذي تهضمهُ المعدة والامعاء لا ضرر منهُ الاَّ اذا كان الجسم غير محتاج اليهِ كلهِ فيزيدهُ سمناً . ولسنا من الذين يقولون ان اللحوم ضارّة او ان الطعام النباتي كافٍ وافٍ بالمراد لاننا نأكل اللحوم ولا تضر بنا ولا تضرُّ باحد عرفهُ

وقد اطلعنا الآن على مقالة مسهبة في هذا الموضوع للدكتور هتشنصن الاميركي وجدنا فيها حقائق كثيرة رأينا ان ننقلها افادة لقراء المقتطف ولتقريرها للحقيقة قال

رأى الناس من اول امرهم ان لا بدَّ لهم من الطعام ولا بدَّ لهم من ان يأكلوا كل يوم

ومن المحتمل ان بعضهم صاموا اياماً فلم يأكلوا إما لانهم لم يجدوا طعاماً يأكلونهُ او لسبب آخر فضعفوا وماتوا فانقرض نسلهم وعاش من الناس الذين يأكلون كل يوم واخلفوا نسلاً مثلهم . وكما تكرر الصيام الطويل تبعهُ الموت على ما تقدَّم فلم يبقَ من الناس الاَّ الذين يأكلون كل يوم الى الشبع

ولا بدَّ من انهُ ظهر لبعض الناس من اول الامر ان الاكثار من الطعام يتعب الجسم فاستنتجوا ان الاقلال منهُ يجلب الراحة وهي نتيجة معقولة ولكنها تناقض حقيقتين مقررتين الاولى وجود القابلية للطعام فما دامت موجودة فلوجودها معنىً لا يمكن اغفالهُ . والثانية ان الطبيعة مسرفة غير مقتصدة فتبزر الشجرة الوفاً من البزور حتى تنبت واحدة منها وتبيض السمكة الوفاً من البيض حتى يتولد منها سمكتان وما من عمل من اعمال الطبيعة خالٍ من التبذير . واسلوبها الذي جرت عليهِ حتى الآن هو انها تولد من كل شيء اكثر مما يلزم منهُ ومتولداتها تتبارى وتتنازع البقاء فلا يبقى منها الاَّ اصلحها للبقاء . أفلا يصدق ذلك على الانسان من حيث الطعام أي انهُ ينبغي لهُ ان يأكل كثيراً وجسمهُ يختار ما هو اصلح لهُ من طعامهِ . والحياة لا تجري على قواعد الحساب والفلسفة بل فيها مجال واسع للصدفة والاتفاق اي لما يتعذَّر علينا ان نعلم ما سيكون قبل حدوثهِ ولولا ذلك لفقدت لذتها وبهجتها . ومهما حسبنا وقدَّرنا فان النتائج لا تأتي دائماً حسب حسابنا وتقديرنا لان الفواعل كثيرة ويتعذَّر علينا حصرها كلها . والغالب انهُ يحدث ما لا ينتظر حدوثهُ لا لان الحساب والتدبير غير لازمين بل لانهما غير كافيين وشأننا في ذلك شأن المسافر الذي اذا اراد ان يأخذ معهُ ما يكفيهِ من النقود وجب عليهِ ان يأخذ اكثر مما قدَّر

هذا ما قالهُ الدكتور هتشنصن في هذا الباب ولا اعتراض عليهِ الاَّ في ترك الامر للمعدة في اختيار الطعام من حيث نوعهُ ومقدارهُ . فاذا عرفنا بالاختبار ما هو الطعام الاصلح الذي يقبلهُ الجسم ويغتذي بهِ وعرفنا المقدار الذي يكفيهِ منهُ وجب علينا ان نعمل على مقتضى هذه المعرفة وان لا نعمل على ضدها فالذي وجد بالاختبار ان العدس يضرهُ او يتعبهُ والفول لا يضرهُ او لا يتعبهُ لا يجوز لهُ ان يقول اني آكل العدس والفول معاً ومعدتي تختار ما هو اصلح لها منهما . والذي عرف بالاختبار او بالامتحان أن الرطل من اللحم يريحهُ ويكفيهِ والرطلين يتعبانهِ ويزيدان عما يحتاج اليهِ لا يجوز لهُ ان يأكل الرطلين ويقول ان معدتهُ تعرف شغلها وانهُ لا يريد ان يتقرَّ عليها . ولا يمكننا ان نضع قاعدة واحدة تصلح لكل الناس لان الاجسام تختلف كثيراً في حجمها وعملها وعاداتها وغرائزها وقوة اعضائها المختلفة . وكل

من ينتبه الى ما ينفعهُ وما يضرهُ من الطعام في نوعهِ ومقداره يعلم حدود النفع والضرر. وتجارب العلماء في هذا الباب لا تخلو من الفائدة والارشاد . هذا ولنعد الى كلام الدكتور هتشنصن قال

الحياة تستلزم الزيادة

اقرب دليل على ذلك واوضح مثل لهُ جسم الانسان ففيهِ عينان واذنان ومنخران ورئتان وكليتان ودماغان اثنان اثنان من كل عضو تقريباً وواحد من الاثنين يقدر ان يقوم وحدهُ بالعمل المطلوب واما الآخر فردف لهُ يقوم مقامهُ اذا عجز عن عملهِ لسبب من الاسباب ولكن الاثنين يعملان معاً لكي لا يضعفا بالانقطاع عن العمل . فوجود اثنين من كل عضو توسُّع وكرم ان لم يكن اسرافاً . ولا يقف الاسراف عند هذا الحد بل ان رئة واحدة تزيد عما يلزم لحياة الجسم وثلث رئة واحدة كافٍ اذا اريد الاقتصاد التام لكن الطبيعة لم تكتفِ بثلث رئة لانها حسبت حساب العوارض الكثيرة التي تنتاب الانسان او النفقات غير المنتظرة فاذا كان انسان بثلث رئة واصابهُ شيء من ميكروب السل او ميكروب ذات الرئة لم يستطع مقاومتهُ . ولهذا السبب عينهِ لا يحسن بنا ان نكتفي باللازم اللازم من الطعام نعم ان الطعام غالٍ ولكنهُ ارخص من الدواء ومن اجرة الاطباء ولكن منَّا كليتان مع ان نصف كلية يكفيهِ فلماذا لا نتزع كلية منهما ونوفر علينا حملها وتمديتها . ويسهل نزع رطلين من كبد الانسان وما يبقى منها يكون كافياً لهُ ولكنهُ اذا نُزع ذلك فالمرجح انهُ يموت اول ما يصيبهُ التهاب اللوزتين او النزلة الوافدة فتكون عاقبة الاقتصاد الموت الباكر . وقد يعيش الجندي شهراً او شهرين على الطعام القانوني الذي هو قدر الكفاية ولكن ماذا يصيبهُ بعد ذلك اذا تعرَّض لتيفويد او التدرُّن او الدوسنطاريا او الزكام الشديد . وقد جُرِّب هذا الطعام القانوني في تسعة من الجنود فضعفت اجسام خمسة منهم وعاد ثمانية الى الطعام العادي وجرَّب شاب الاكتفاء القانوني ثم اعتزتهُ آفة فاماتتهُ مع انها لا تميت عادة من تعتريهِ ولا سبب لذلك الاَّ ما عاناهُ بالطعام جسمهُ من الجوع

وكلام الدكتور هتشنصن وجيه كلهُ لا غبار عليهِ ولكن يشترط في هذا الاكثار او الكرم ان لا يتجاوز النفع الى الضرر فلو وُلد ولد بعشر كلى لوجد الزيادة عبئاً ثقيلاً عليهِ وقضى الدكتور هتشنصن ينزع ثمان منها وما احسن المثل العامي ان الزائد اخو الناقص والمقياس الحقيقي في كل ذلك هو النفع والضرر . وهذا اشار اليهِ الدكتور هتشنصن في الفصل التالي

الطعام الاصلح

ان التجارب العلمية في الطعام قد لا تخلو من فائدة ولكن الذي تهمنا معرفتهُ ليس ما هو اقل مقدار يكفينا من الطعام ولا ما هو العمل المعتدل الذي نعملهُ اذا اكتفينا بذلك المقدار بل ما هو المقدار الكافي من الطعام لجعل الجسم يعمل كل ما يطلب منهُ عملهُ من غير ان تخور قواهُ اي ما هو الطعام الاصلح للجسم لا ما هو الطعام الاقل او الاوفر . والاقتصاد حسن في التجارة وتدبير الاموال ولكنهُ غير حسن في الاكل بل هو فيهِ موجب لزيادة النفقات اخيراً فهو اسراف لا اقتصاد . ومن يحاول الاقتصاد في الخبز واللحم كمن يحاول الموت جوعاً هو او اولادهُ او خدمهُ . والاقتصاد في المطبخ عين التبذير ويقع ضررهُ في الغالب على الصغار او الضعاف من العائلة . والناس الذين يأكلون حسب مشيئة غيرهم لا حسب ما تشتهي انفسهم يقل اغتذاؤهم ويضعفون

معنى القابلية

ثم قال ما هي القابلية ما هي الغريزة التي نجدها فينا لطلب الطعام اذا جعنا والاكتفاء منهُ اذا شبعنا . انها مجرد غريزة حيوانية موروثة من اسلافنا الاولين حينما كان الواحد منهم يجوع فاذا وجد طعاماً هجم عليهِ كالاسد انضاري والتهمهُ التهاماً . كلاَّ بل ان الناس كانوا مضطرين دائماً للاكل ولم يكن الطعام كافياً لهم لصعوبة الحصول عليهِ فكان الذي يبادر الطعام قبل غيرهِ اذا حضر ويأكل منهُ كفافهُ قبلما يفرغ يعيش اكثر من الكسول الذي لا يجد من نفسهِ شهية للطعام ولا يأكل منهُ كفافهُ او لا يبقى لهُ منهُ ما يكفيهِ . فعاش الاول واخلف نسلاً ومات الثاني وانقرض نسلهُ وهكذا توارث الناس القابلية للطعام وقويت فيهم . ولا بدَّ من ان البعض افرطوا في الاكل جشعاً وهؤلاء اتخموا ومرضوا وماتوا ولم يخلفوا نسلاً فبقي من نوع الانسان اصحاب القابليات المعتدلة لا الذين يفرطون ولا الذين يفرطون . وغنيٌّ عن البيان ان الغرائز التي تبقى في النوع وتستمرّ فيهِ هي الغرائز النافعة لان الغرائز الضارة تهلك اصحابها فلا يخلفون نسلاً . هذا اذا لم يستعمل الانسان عقلهُ وارادتهُ لمقاومة الطبيعة وابقاء الضار او تخفيف ضررهِ

ولذلك فالقابلية غريزة نافعة تستحق ان يعمل بها ويجاب طلبها وهي لا تكون كذلك الاَّ اذا زادت عن الحد المحدود أي اذا كان مؤداها ان يأكل الانسان فوق حاجتهِ ولو قليلاً لا ان يأكل اقل من حاجتهِ مثل كل الغرائز الطبيعية لان للزيادة علاجاً وهو خزن الزائد او طرحهُ او عدم استعمالهِ وما النقص فلا سبيل لتلافيهِ كما اذا كان دخل انسان اكثر من

نفقاته فان الزيادة لا تضرهُ ولكن اذا كان دخلهُ اقل من نفقاته فان آخرتهُ الافلاس والخراب . واوضح من ذلك انهُ يجب الاهتمام بالقابلية وحفظها وعدم مخالفتها الاَّ اذا ثبت ان منها ضرراً وهي خير مرشد لنا في امر الطعام

ومما يذكر بالاسف ما هو شائع الآن من ان النتائج العلمية التي نتجت من البحث العلمي في هذا الموضوع جاءت مناقضة لما تقدم لان اناساً من صغار الاحلام اشاعوا في طول البلاد وعرضها ان كل الناس يا كلون اضعاف اضعاف ما يحتاجون اليهِ وان اكل اللحم من الموبقات او هو على الاقل من الغرائز الحيوانية التي يجب قمعها . لكن الاشاعة غير صحيحة والتجارب العلمية الحديثة التي اجراها العلماء الخالون من الغرض ايدت التجارب العلمية القديمة بنوع عام والتجارب التي اجراها الناس يقصدون ان يثبتوا ضرر اكل اللحم وضرر الاكثار من الطعام تخالف اختبار الناس بنوع عام ولاسيما في ثكنات الجيوش ومستشفيات المرضى ومصاح الشقاء

التجارب العلمية

اما التجارب العلمية فاجراها العلماء اولاً في الكلاب صنعوا غرفة محكمة وقاسوا ما فيها من الهواء والرطوبة والحامض الكربونيك ووضعوا فيها كلباً وغذوهُ غذاء معلوماً في نوعهِ ووزنهِ وسقوهُ مقداراً معلوماً من الماء ثم قاسوا ما تنشهُ من البخار المائي وما خرج منهُ من الميزات على انواعها واستمروا على ذلك اياماً ثم اخرجوهُ ووزنوهُ فوجدوا ان الرطوبة التي خرجت منهُ والحرارة التي انتقلت منهُ الى هواء الغرفة وميزاتهِ الجامدة والسائلة الخ موازنة للطعام الذي اكلهُ والماء الذي شربهُ . ولما رأى ملك بافاريا ذلك عرض على هؤلاء العلماء النفقات اللازمة لاجراء هذه التجارب في الانسان فاجروها وثبت منها ان جسم الانسان اكثر الآلات اتقاناً في الموازنة بين دخلهِ وخرجهِ فلا يضيع فيهِ شيء فان الحرارة التي تصدر منهُ وهو في غرفة محكمة والرطوبة التي تخرج من بدنهِ والعمل الذي يعملهُ والحامض الكربونيك الذي ينفثهُ مجموعها يوازي مجموع الطعام الذي اكلهُ والشراب الذي شربهُ مع اعتبار ما زادهُ جسمهُ او نقص منهُ . وعليهِ فاذا اراد الانسان ان يعمل عملاً ما فعليهِ ان ياكل طعاماً فيهِ المواد الكافية لذلك العمل والاَّ اضطرَّ ان يستخدم لهُ بعض جسمهِ

وبناء على هذه التجارب وضع العالمان يتكفر وفويت جداول الطعام المعروفة وبيَّنا ما هو اقل مقدار يكفي للمعيشة ويمنع الموت جوعاً وما هو المقدار الذي يعيش بهِ الانسان مستريحاً والمقدار الذي يكفيهِ اذا عمل عملاً معتدلاً والمقدار اللازم لهُ اذا عمل عملاً شاقاً وهذه المقادير بين حدين الحد الاوطأ ١٥٠٠ سعرة والحد الاعلى ٤٥٠٠ سعرة ويراد بالسعرة

(Calorie) المقدار من الحرارة الذي يسخن الكيلو من الماء درجة واحدة بميزان سنتغراد . وكل التجارب العملية التي جرت بعد ذلك ايدت النتائج المتقدمة ولم تزد عليها الاَّ امورًا طفيفة ناتجة عن الزيادة في اتقان الآلات والادوات . وقد اعتمدت عليها الدول الاوربية في اطعام جنودها فجاءت وافية بالمراد

وقد يعترض على ذلك بان رجلاً مثل لويجي كورنارو عاش سنين كثيرة وهو مقتصر على القليل من الطعام لا يزيد في يومهِ على ١٢٠٠ حرّة . ولكن الرجال الذين مثلهُ نادرون والنادر لا يبنى عليهِ حكم ولقد حسب الدكتور تشتندن ان ١٦٠٠ حرة من الطعام تكفي الانسان ونشر ذلك في الطبعة الاولى من كتابهِ ثم غير هذا المقدار وجعلهُ ٢٨٠٠ حرة في الطبعة الاخيرة من غير ان يبين سبب ذلك

ما يضيع من الطعام

ويزعم الذين ينادون بوجوب تقليل الطعام ان الجانب الاكبر منهُ يذهب سدىً فيتعب الجسم للتخلص منهُ فوق ما يخسرهُ الانسان بالانفاق على ما لا حاجة لهُ بهِ . لكن التجارب العملية لم تؤيد ذلك بل اثبتت ان ما يضيع من الطعام قليل جدًّا اذا لزم الانسان حد الاعتدال في طعامهِ وهذا الضائع بين ٥ و١٥ في المئة لا غير فلا يضيع من لحم البقر سوى ٢ في المئة اي اذا اكل الانسان لحمًا فيهِ مئة غرام من الغذاء لم يخرج منها من جسمهِ ضياعًا سوى غرامين والثمانية والثمانون جراما الباقية تدخل الدم غذاء للجسم . ويضيع من اللبن ٣ في المئة ومن الخبز ٦ في المئة

هذا ما ذكرهُ الدكتور هتشنصن ولقد احسن في تقييد الطعام ضمن حد الاعتدال فاذا كانت حاجة الانسان تختلف بين ١٥٠٠ و٤٥٠٠ حرة حسب عملهِ فقد يأكل ٤٥٠٠ حرة ولا يعمل ما يستدعي ٢٥٠٠ حرة فماذا يصير بالالفين الباقيين ألا يذهبان ضياعًا . رأينا مرةً فتاة عمرها نحو ١٦ سنة كانت تأكل في يومها ما يكفي اثنين او ثلاثة ولا تشعر بالشبع ولكنها تبطل الاكل متى مُنعت عنهُ . وقد راقبناها بضعة اشهر وهي على حال واحدة وكانت معتدلة القامة لا سمينة ولا نحيفة وبقيت كذلك كل المدة التي راقبناها فيها وكان عملها الخدمة ولم تكن تعمل اكثر من غيرها من الخدم ولا شبهة في ان نصف طعامها كان يذهب سدًى . وهذا شأن كثيرين من الذين يأكلون فوق ما تحتاج اليهِ ابدانهم او تستدعيهِ اعمالهم

موقى البطنة

قال الدكتور هتشنصن انهُ نظر في جدول الامراض التي يموت بها الناس في نيويورك

فوجد انها ٤٢ مرضاً او آفة ثلاثة منها فقط يمكن ردها الى كثرة الاكل وهي امراض المعدة وامراض الكبد والبول السكري وان ثلثي الذين ماتوا بهذه الامراض لم يكن لكثرة الاكل يد في موتهم مع ان كل الذين ماتوا بهذه الامراض لا يتجاوزون ثلاثة في المئة من عدد الوفيات كلها . اما الامراض التي سببها قلة الاكل او قلة التغذية او التي تشتد بقلة الاكل او بقلة التغذية فهي الامراض الفتاكة حقيقةً كالسل وذات الرئة والاسهال والتيفويد والجوع وهذه الامراض اماتت ٢٥٠٠٠٠ او نحو ثلث كل الوفيات . فالامراض الناتجة عن كثرة الاكل او التي تشتد بكثرة الاكل تميت ثلاثة في المئة فقط واما الامراض الناتجة عن قلة الاكل او التي تشتد بقلة الاكل فتميت ثلاثين في المئة فلو كانت قلة الاكل تطيل الحياة وتدفع الامراض لنجت على الاقل نصف المئتين والخمسين الفاً المشار اليهم آنفاً

هذا وغنيٌّ عن البيان ان معدّل الوفيات يكون على اكثره بين الفقراء الذين لا يستطيعون ان يأكلوا الطعام الكافي المغذي وعلى اقله بين الاغنياء الذين يأكلون الطعام الكافي المغذي . وارق الامم الآن هي الامم الكثيرة الطعام . ألا ترى ان اول شيء فعلته اليابان حينما ارادت ان تسير في مصاف الامم الراقية انها جعلت جنودها البرية والبحرية تقتدي بالاوربيين في اكل الطعام المقوي وحثت شعبها على ذلك

المجاعات والاوبئة

من الحقائق التاريخية ان الاوبئة تتبع المجاعات وقلما الذين يموتون جوعاً يموتون بحمى تتغلب عليهم لان الجوع اضعف اجسامهم حتى لقد جرى الاطباء على تسمية بعض الحميات كالتيفوس والتيفويد بحميات الجوع فهل حدث في وقت من الاوقات ان اصاب البلاد مرض وبائي بسبب كثرة الاكل او خصب الحاصلات ؟ كلاَّ

الطعام الجيد والكثير منهُ

الطبيعة حكيمة ولم تبذل قوتها عبثاً في ابقاء الاصلح من الناس والغرائز منذ الوف من السنين الى الآن . ولا بد للانسان من مقدار من الطعام يكفيه لحفظ حياته وقيام اعماله والقليل من النقص عن الحد المطلوب يضرُّ جدّاً ولكن القليل من الزيادة لا يضرُّ ولا سيما في الصغار وهم ينمون وفي الحوامل وهنَّ يغذين اجنتهنَّ . ولكن لا بد من ان يكون الطعام جيداً خالياً من الفساد ومن ميكروبات الامراض لان قولهم ان اكثر الاوصاب من الطعام والشراب سببهُ ما يكون في الطعام احياناً من مواد الفساد وميكروبات الامراض . اما مقدار الطعام فان كانت كثرتهُ تتعب بعض الاغنياء فقلتهُ تقتل الملايين من الفقراء

رسائل الاستانة

(٥) العناصر العثمانية — اتحادها وانشقاقها

العرب والترك والارمن

ان الاتفاق والاختلاف بين رجال تركيا الفتاة ورجال تركيا العجوز امر جلل يهم العثماني همًّا كبيراً لانهُ يقدم ويؤخر في مصالح الامة والدولة كثيراً . ولكن مهما عظم شأنهُ لم يبلغ في اعتبارنا شأن اتحاد العناصر العثمانية وانشقاقها اذ اتحادها اعم واعظم نفعاً من اتفاق الفتاة والعجوز وانشقاقها اوسع ضرراً واشد تأثيراً في تعطيل مصالح الامة من اختلافهما . وقد كانت مسألة هذه العناصر اعظم باعث لنا على السفر الى الاستانة ودرس المسائل العثمانية فيها . وكانت مسألة العنصر الارمني التي بحثت عن مذابح اذنه تشغل بالنا وتزيد همنا حينئذٍ خوفاً من ان يكون ولاة الامور في تركيا غافلين عنها غير مبالين بما لها من التأثير السيء في العالم المتمدن واشفاقاً من ان يصح فيهم ما كان يقولهُ كثيرون من الاجانب عنهم وهو ان الحكومة الدستورية الحالية ناتجة في تحقيق تلك الحوادث نهج الحكومة الاستبدادية الحميدية يدعوى انها تحقق قولاً وتطمس معالم الحق وتحالف العدل فعلاً . ومما كان يزيد خوفنا وحذرنا من ذلك الاخبار التي كانت الشركات البرقية تطيرها الينا عن اعمال ديوان الحرب الذي كان يحقق قبل تعيين سعادة الفريق اسمعيل پاشا فاضل رئيساً لهُ وارسال الثنين من افاضل المبعوثان الى ادنه . ولذلك لم نكد نلتقي باسمعيل پاشا فاضل على ظهر الباخرة الرومانية في ازمير كما مرَّ بنا ذكرهُ في مقالة سابقة ونسمع من لسانهِ انهُ مسافر في الغد الى ادنه ليرئس ديوان الحرب فيها حتى كاشفناهُ بخوفنا وحذرنا وقلنا لهُ اننا لا نعلم ان كنتم انتم ولاة الامور منتبهين لما كان للمذابح الاخيرة من التأثير في العالم المتمدن ولما يقال عنا الآن بسببها ولما يخامر فؤاد كل عثماني حر يغار على شرف الدولة ومجدها وحسن سمعتها من الخوف والقلق لئلا تكونوا لاهين عن ذلك بمشاغلكم الاخرى غير مبالين بعواقب ما يسمعهُ امثالنا العثمانيون البعيدون عنكم من الاقوال التي لا تسمعونها والتعبيرات التي لا يبلغكم خبرها

فقال ولكن العالم المتمدن يعلم اننا غير مسؤولين عن تلك الحوادث وانها حدثت على غير علمنا ورضانا . قلنا نعم ان العالم المتمدن يعلم ذلك ولا يعدكم مسؤولين عن حدوث ما حدث ولكنهُ يعدُّكم مسؤولين عن اظهار الحق واجراء العدل بعد حدوث ما حدث . وكل عثماني

حر يطالبكم بان تفعلوا فعل الحكومات العادلة الدستورية في مثل هذه المهمة وان تزيلوا هذه الوصمة بقوة الحق والعدل عن جبين الدولة . فاعجبهُ كلامنا هذا وسرهُ ما سمعهُ عن غيرة العثمانيين على دولتهم الدستورية وحرصهم على حسن سمعتها في كل البلدان المتمدنة

فقال لنا اقوالاً سكَّنت قلقنا ولكن فاتنا ان نستأذنهُ في نشرها برمتها فامسكنا عن نشرها لعلمنا انهُ ضابط وموظف في حكومة وربما حظر عليهِ نشر اقوالهِ ولكن لا بأس ان نقول ان خلاصة كلامهِ كانت ان العالم المتمدن سيعلم عن قريب ان الحكومة الدستورية العثمانية ليست حكومة تطمس الحق وتميت العدل لاغراض دينية او جنسية بل انها تفعل الواجب عليها فتظهر الحق وتجري العدل بلا محاباة ولا مراعاة كاعدل حكومة متمدنة دستورية

فقلنا لهُ اننا نطلب منكم نشر كل التقارير الحاوية للتحقيقات والشهادات والاحكام حتى يطلع عليها القاصي والداني . قال ان ذلك كلهُ سيرسل الى مجلس المبعوثان وقد عاد حضرة يوسف بك كمال من المبعوثان من ادنه وكان امس هنا وسافر الى الاستانة وسيعرض تقريرهُ على مجلس المبعوثان

فلما وصلنا الى الاستانة وذهبنا الى مجلس المبعوثان كان اول خطيب رأيناهُ وقف على المنبر في جلسة ذلك اليوم يوسف بك كمال نخطب طالباً اعانة لمنكوبي تلك الولاية حتى يتداعوا لوازم الزراعة وخطب بعدهُ آخرون فكان حضرتهُ اخطبهم كلهم بلا خلاف . وسألنا سيفي الاستانة عن تأثير مذابح ادنه وعما سيكون من امرها فسمعنا فيها من افواه رجال من جمعية الاتحاد والترقي ورجال من المبعوثان وكلهم من المسلمين اقوالاً توافق ما سمعناهُ من فم اسمعيل باشا فاضل . وقيل لنا ان جريدة طنين كتبت في هذه الحوادث تطلب اظهار الحق واجراء العدل وانصاف الارمن كتابة لم تفقها مقالات الجرائد الارمنية نفسها . وشعرنا انهُ وان كان لا يزال في نفوس الارمن ألم وجفاء واستياء لكنهم شعروا بمجابرة اخوانهم الترك فلم اخيراً وباتوا يرجون بعد تلك المجابرة ان يتام العدل وينصف المظلوم من الظالم ولذلك وجدنا كثيرين منهم ميالين الى تناسي ما مضى وتسهيل سبيل الاتفاق والتواد في المستقبل . ومهما يكن من هذه الآمال والاميال فالذين زاروا الاستانة ايام زيارتنا لها لم يكادوا يشعرون باختلاف او انقسام بين العنصرين التركي والارمني فيها ولا لحظوا ان العثمانيين الذين يهتمون بالمسائل العمومية وامر العناصر يظهرون همهم من جهة العنصرين التركي والارمني او يبدون اقل شيء من القلق الذي يبدونهُ من جهة العنصرين التركي والروسي

ولكن قال لنا بعض الخبيرين ان الامر ليس كذلك في بلاد الافاضول وان بعض الدوائر

الوطنية والاجنبية التي بينها وبين الاناضول مواصلات ومراسلات غير مطمئنة اطمئنان اهل الاستانة من هذا القبيل

ولما وقفنا على ما وقفنا عليه من جهة العنصر الارمني وسمعنا ممن يوثق باقوالهم ان الحكومة الدستورية عاقدة النية على ان تظهر للعالم ترفعها عن التعصبات الدينية والتحزبات الجنسية في امر الحوادث الاناضولية جعلنا نبحث عما يهمنا اكثر مما يهمنا سواهُ وهو امر العنصر العربي الذي نُعَدُّ منهُ والذي نودُّ طبعاً ان يكون في مقدمة جميع العناصر (عثمانية كانت او غير عثمانية) رفاهة وسعادة وارتقاء ونجاحاً . ولما كان غرضنا الاول جلاء الحقائق للقراء وجب علينا ان نعترف هنا ان امر هذا العنصر لم تجلِ لنا حقيقتهُ في الاستانة لاننا كنا نشعر كلما ذكرنا امرهُ انهُ لا يسهل علينا معرفة الحقيقة عنهُ لاننا لا نسمع الاقوال الصريحة ولا نطلع على البواطن الجلية . وربما كان هذا الشعور قد تولد فينا من تأثر السليقة مما حولنا بلا دخل لادراكنا في ذلك . وربما كان قد تولد من سبب آخر وهو اختلاف الاقوال التي كنا نسمعها من العرب والترك مع شدة حرصنا على اكتشاف الحقيقة ومحاولتنا عدم الاقتناع بالاقوال التي نسمعها ما لم يقم عليها الشاهد والدليل . والشاهد والدليل لا يتأتيان في كل آن

وسواء كان السبب في شعورنا هذا صواباً او خطاء فهذا ما شعرنا به بيّنَّاهُ بصراحة وحرية ليكون القارئُ على بصيرة . وبعد هذا التبيان لا بأس بذكر طرف مما سمعناهُ من الفريقين . فابناء العرب لا يخلو بعضهم من عتب على الترك ولكن العاتبين عليهم وغير العاتبين والمؤاخذين لهم والعاذرين متفقون على القول بان الترك مرتابون في اخوانهم العرب اما العاتبون عليهم والمؤاخذون لهم فيقولون انهُ لا يحق للترك ان يرتابوا في العرب بوجه من الوجوه بل يحق للعرب ان يعتبوا على الترك لانهم اظهروا ارتيابهم هذا ببعض افعالهم ولانهم لم يثبتوا لنا محافظتهم على المساواة فعلاً بيننا وبينهم كما هو مقتضى القانون الاساسي الذي هو اساس نظامنا في دولتنا والذي يجب ان نجعلهُ كذلك قولاً وفعلاً لا قولاً فقط

واما العاذرون للترك من العرب والمعتذرون عنهم فيقولون ان الترك بشر مثلنا ولا عجب اذا ارتابوا فينا بعد الذي رأوهُ منا

وبين الفريقين اخذ وعطاء وجدال كثير من هذا القبيل . فالعاذرون للترك والمعتذرون عنهم يقولون لنفرض اننا نحن في مكانهم وهم في مكاننا أفما كنا نرتاب فيهم كما ارتابوا فينا . فاولاً قام منا العابد وابو الهدى والمخمة واخوهُ والشيخ فلان والسيد فلان واتباعهم وحواشيهم في عهد عبد الحميد وفعلوا ما فعلوا في عهد الاستبداد مما اسخط الترك ورسخ ذكرهُ

في اعماق نفوسهم . وثانياً لم يكد الحزب الحمدي يقوم في الامتانة حتى رنّ صداهُ في دمشق الشام ولولا انتصار جيش الحرية هنا لخلفنا من قومة عظيمة على الدستور في ولاية سورية وربما لم يقتصر ذلك على ولاية سورية وحدها بل ظهر ايضاً في ولايات أخرى عربية . وثالثاً انشأ قوم من ابناء العرب صحفاً يخرضون فيها العنصر العربي على الاستقلال وقامت جرائد أخرى في مصر تنتصر لاستبداد عبدالحميد على نظام الدستور وتقول للمسلمين العرب الذين يقرأونها ان مجد الاسلام قد زال بزوال حكم ذلك الظالم وتسعى في قطع العلاقة بينهم وبين الدولة العلية . ورابعاً يأتي قوم من العرب المنافقين الى هنا من حين الى حين ويتقربون الى ذوي الحل والعقد والكلمة النافذة في هذه الايام بتسويد وجوه العرب ابناء وطنهم وتبييض وجوههم فيقولون لهم ان فلاناً وفلاناً من اهل بلدنا كانوا من الرجعيين او ممن يروم فصل العرب عن الدولة او ممن يضمر الشر للدستور ولكننا وقفنا لهم بالمرصاد واحبطنا سعيهم وفعلنا كيت وكيت مما يردُّ كيدهم في نحورهم . او يقولون لهم ان السواد الاعظم من اهل بلادنا يكون و ينوحون على عبد الحميد ويحسبون سقوطهُ ذلة للاسلام والمسلمين ولكننا جاهدُون في تنوير اذهانهم وازالة هذا الخطاء من عقولهم وقس على ذلك كثيراً

أفتعتب بعد هذا كله على اخواننا الترك اذا ارتابوا فينا واوجسوا في نفوسهم خيفة منا

و يرد عليهم العاتبون انهُ اذا كان قد قام منا بغاة في عهد عبد الحميد فقد قام من الترك قوم اكثر منهم عدداً واشد بغياً وحسبنا ان عبدالحميد نفسهُ منهم فلا يحق لهم ان يرتابوا في امة بسبب ما جناهُ قوم يعدون على اصبع اليد الواحدة منها كما اننا نحن لا نرتاب في العنصر التركي بسبب ما جناهُ بعض افرادهِ

وانهُ ان كان قد قام في دمشق من اراد مقاومة الدستور فهؤلاء متابعون لا بادئون وقد تابعوا الجمعية المحمدية التي انشأها الترك في الامتانة . فليس من العدل ان نرتاب اخواننا الترك فينا بسبب ذلك كما اننا لا نرتاب فيهم بسبب الذين انشأوا الجمعية المحمدية منهم وفعلوا ما فعلوا

وان كان قد انشأ بعض منا جرائد او نشر مقالات تحرض العرب على الانفصال عن الدولة او تكرههم اليها الحكومة الدستورية فكم من جريدة لنا تثني بمدح الحكومة الدستورية كل يوم وتقاوم الجريدة او الجريدتين اللتين شذتا عن سائر الجرائد العربية . وكم من مقالة تنشرها جرائدنا العربية كل يوم وتوصي فيها بالاتحاد والوئام ونقول انهُ لا تقوم لنا قائمة الاَّ بالاتحاد التام

وان كان بعض المنافقين يتقربون الى ذوي الحل والعقد بالافتراء على ابناء وطنهم ويقولون ان العرب يتحسرون على عبد الحميد ولا يخلصون للحكومة الدستورية فها جرائدنا تصدر طافحة باخبار اخلاص العرب للدولة العلية والحكومة الدستورية حتى انهم يجاهرون بحبها والتعلق بها من اقصاء الكرة الارضية . افليست الاعياد التي يعيدونها والافراح والولائم التي يقيمونها طوعاً من تلقاء نفوسهم وبلا تكليف احد لهم ايام الاعياد الدستورية في كل بلادهم فيها دليلاً قاطعاً على اخلاصهم وصدق ولائهم وتكذيباً لكل من يفتري سوءاً عليهم فكيف يجوز بعد ذلك لاخواننا الترك ان يرتابوا منا او يسيئوا ظنهم فينا

بل كيف يجوز لهم ان يظهروا ارتيابهم هذا فينا باكسر قلوبنا وحل عزائم ضباطنا فانهم ارسلوا فاحضروا الضباط العرب من فيالقهم في سورية ومكدونية وجمعوهم في الاستانة بعد ما كان ضباطنا اشد اعوانهم في اعادة الدستور اولاً وفي حفظه اخيراً ولهذا استاء ضباطنا وحاروا في امرهم لانهم لا يدرون سبباً لارتياب اخوانهم فيهم . ونحن ايضاً مستاؤون استياءهم وشاعرون بان هذا الارتياب يضرنا ادبياً اذا لم نشعر الآن بانهُ يضرنا مادياً

وعلى هذا المنوال كان يطول الجدال بين الفريقين في عدة مجالس حضرناها واوردنا طرفاً فقط مما كان يقال فيها . ولكننا ادركنا منها امراً ذكرناهُ آنفاً وهو اتفاق الفريقين على ارتياب الترك في امر العرب وبناء على ذلك سألنا قوماً من الترك عن امر هذا الارتياب آملين ان نصل الى ما يجلو حقيقة اسبابهِ ويزيلهُ اذا كان موجوداً . وسنذكر محصل ما سمعناهُ منهم في مقالة تالية ثم ننتقل الى ما سمعناهُ عن العنصرين الرومي والالباني وبالله التوفيق

ثبت ان فريد باشا ناظر الداخلية العثمانية استعفى من وظيفته وان طلعت بك رئيس مجلس المبعوثان الثاني سيعين ناظراً بدلاً منهُ فتم بذلك ما كان ينتظر حينما كنا في الاستانة واشرنا اليهِ في ما مضى . اما طلعت بك فلا يزال مع وفد المبعوثان في بلاد الانكليز ولكن ما سمعناهُ عنهُ من الذين يعرفونهُ حق المعرفة يقوي الامل بانهُ ينجح في نظارة الداخلية كما نجح صديقهُ وزميلهُ جاويد بك في نظارة المالية

اما اخبار الشركات البرقية عن كريت فتوهم القارئ باكثر مما ينتظر وقوعهُ في مسألتها . فما لا يرتاب فيهِ رجال الاستانة ان دولة اليونان وحدها لا تحارب الدولة العلية مطلقاً لا على مسألة كريت ولا على غيرها . وانهُ لا يكاد يحتمل وقوع حرب بينهما الاَّ اذا اتحدت البلغار واليونان معاً وذلك قليل الاحتمال جداً ولاسيما في هذه الايام التي يزداد فيها

الصفاء وتحسن العلاقات يوماً فيوماً بين الدولة العلية وانباغار

بقي أن كريت نفسها تشق عصا الطاعة وتجاهر بالعصيان وذلك كان كثير الاحتمال في عهد الحكومة الحميدية ولكنهُ بعيد الوقوع في عهد الحكومة الدستورية . وعسى انهُ لا يقع مطلقاً اولاً لخير كريت نفسها وثانياً لكي لا يشغل الحكومة العثمانية عن الاصلاحات الداخلية

ولكن هب انهُ وقع فعاقبتهُ معلومة ورجال الدولة يظنون انهُ لا يحملها مشقة عظيمة . قال لنا رجال من ضباط الجيش العثماني والاتحاد والترقي ونحن في الاستانة لا تقيسوا على الماضي فلو ثار الالبانيون في ايام عبد الحميد لما قمع ثورتهم جيش جرار في شهور واعوام ولكن جاويد باشا اخمد ثورتهم بجند قليل في ايام . وهكذا ثورات كريت التي كانت تدوم الزمان الطويل في سالف الاعوام لا تدوم الاَّ ايامًا امام جيشنا الحالي وقوادنا الابطال الذين لا يعرفون الاَّ النصر او الموت في ساحات القتال

ولهذا كلهِ نظن ان اهل كريت لا يستفزون الدولة الى القتال الاَّ اذا استفظوا وعيل صبرهم على هذه الحال

(٦) العناصر العثمانية — اتحادها وانشقاقها

الترك والعرب ايضاً

لما مررنا بازمير ونحن ذاهبون الى الاستانة سألنا عالمًا تركيًّا من رجال الاتحاد والترقي مسائل كثيرة عن الدستور و نصارهِ ومقاوميهِ وثبات نظامهِ وما يخشى منهُ عليهِ . وكنا نكلمهُ بالعربية المعربة فيجيبنا بمثلها ولكنهُ لا يفهم لغتنا العامية كما لا نفهم نحن اللغة التركية فلما انتهينا من سؤالهِ عما شئنا قال لقد سألتموني عن كل ما عنَّ لكم بكل صراحة وحرية وطلبتم مني ان اجاريكم بكل صراحة وحرية فاجبتكم كذلك عما سألتموهُ عن العلماء والفقهاء كما اجبتكم عما سألتموهُ عن الاكليروس والرؤساء الروحيين عند العثمانيين غير المسلمين . فأنا اطلب ان اسألكم الآن سؤالاً واحداً بكل صراحة وحرية واريد ان تجيبوني عنهُ كذلك ولا تؤاخذوني بسؤالهِ كما اني لم اؤاخذكم بشيء سألتموهُ لعلمي انكم طلاب حقائق وانا طالب حقيقة مثلكم

فقلنا سلوا ما بدا لكم فانا اخوان مخلصون في خدمة الدولة والاوطان . والاخلاص يوجب علينا السؤال والجواب بتمام الحرية

قال أصحيح ان العرب السوريين يكرهون الانتماء الى الدولة العلية ويطلبون الانفصال عنها والالتحاق بمصر وجعل مصر وسورية مملكة عربية مستقلة عن السلطنة العثمانية الدستورية

فلما سمعنا هذا السؤال تبسمنا وقلنا في نفسنا لو كان الذين يلقون الاقوال على عواهنها يفكرون في عاقبة اقوالهم قبلما يفوهون بها بلا تبصر ولا روية لكان الذين يكثرون من شقشقة اللسان في مصر مثلاً يحترزون في التلفظ باقوال هي بالذات ضرب من المحال وعاقبتها الضرر على كل حال اذ صاحبنا لم يسألنا هذا السؤال الا بعد ما سمع طرفاً مما يهذي به بعض صغار الاحلام في مصر مثلاً

ثم قلنا لهُ انكم طلبتم منا ان نجيبكم بالصراحة والحرية وعليهِ نقول لكم انكم لو سألتمونا هذا السؤال قبل اعلان الدستور لكنا نجيبكم اننا نحن انفسنا لود ذلك وتمناهُ لانقطاع املنا من الخير والاصلاح في حكم عبد الحميد. اما الآن وقد اعلن الدستور فآراؤنا وامالنا نحن وغيرنا قد تغيرت كلها تغيراً تاماً دفعة واحدة وليس منا من يسعى في ضم سورية الى مصر او من يفكر في ذلك. فما سألتمونا عنهُ غير صحيح والسوريون عموماً على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم يأبون الآن الانفصال عن الدولة العلية والالتحاق بمصر او بغيرها

فلما سمع منا هذا القول بدت عليهِ علامات الارتياح والاطمئنان وقال لنا صريحاً انهُ لا يشك في صحة جوابنا بعد الآن لا هو ولا غيرهُ من اخوانهِ. فادركنا من ذلك الحين انهُ لا بد وان يكون قد علق بنفوس الترك شيء من الريب في العرب السوريين على الاقل

ولما اتينا الاستانة وسمعنا العرب يجاهرون ويتجادلون فيها بمعنى ما اوردنا طرفاً منهُ في مقالتنا السابقة رأينا من الواجب علينا مفاتحة الترك بذلك والاطلاع على ضمائرهم وجلاء الاذهان من صدإ الريب ان كان ثم محل لذلك

على اننا طرقنا هذا الباب مراراً فلم نكن نلج على من نسألهم علامات الارتياح الى البحث في هذه المسألة او كنا نجاب اجوبة لا تشبع او لا تفي بالمطلوب الذي نريد معرفتهُ

وكان مؤدى الاجوبة بوجه الاجمال انهُ ليس هناك ارتياب في العرب وما يتحدث بهِ الناس خلافاً لذلك غير مطابق للواقع بل هو ناتج عن وهم او عن سوء فهم ونحو ذلك. فجعلنا نقول في نفسنا تارة يمكن ان يكون اخواننا ابناء العرب مخطئين في ظنهم وان يكون الوهم غالباً عليهم وتارةً يمكن ان اخواننا الترك يحسبون محاورتنا عن هذه الاسئلة بالصراحة والحرية مما يؤلم عواطفنا فيجتنبون ذلك ملاطفةً ومراعاةً منهم لنا. ونبني ظننا الاخير هذا على ما لحظناهُ من كلام العالم التركي في ازمير تمهيداً لسؤالهِ عن العرب السوريين

ولكننا لم نقف عن السؤال عند مثل ذلك الجواب في حديث جرى لنا مع بعضهم بل قلنا لهُ ولكن بلغنا ان ضباط الجيش استدعوا اخوانهم الضباط العرب من دمشق ومكدونية الى

الاستانة وابقوهم فيها وان ضباط العرب مستاؤون من ذلك لظنهم انهم لم يستدعوا الى الاستانة الاَّ حذراً منهم وارتياباً فيهم مع انهم من اشد الضباط العثمانيين اخلاصاً وغيرة على الدستور والدولة

فقال اننا لم نفعل ذلك مع الضباط العرب وحدهم بل مع آخرين من الترك وغيرهم فنقلناهم من الاماكن التي كانوا فيها الى الاستانة لاسباب اقتضتها الاحوال العسكرية لا لارتياب ولا لسوء ظن . ومثل هذا النقل والتغيير كثير في الجيش ولكن يظهر ان الضباط العرب شديدو التأثر والانفعال وشديدو الميل ايضاً الى حمل ما يجري في الجيش على التمييز بين التركي والعربي فاذا جرى مثلاً امر بين التركي والعربي على حد سوى فالتركي يقبله على بساطته اذ لا وجد له ليحمله على غير ذلك واما العربي فلكونه غير تركي يتبادر الى ذهنه انهُ لا بد لذلك الامر من سبب غير السبب البسيط ويحسب ذلك السبب طبعاً التمييز بين العربي والتركي او نحو ذلك

فرأينا حينئذٍ انهُ يحتمل ان يكون كثير مما يقال عن ارتياب الترك في العرب ناتجاً عن الوهم او الخطاء في الفهم وقلنا لمن اجابنا هذا الجواب كنا نود ان يوجه اخوانكم انتباههم الى هذا الامر الجلل ويجتنبوا كل سبب يؤثر تأثيراً سيئاً في نفوس العرب . فنحن لا نجهل انهُ وان كان القانون الاساسي يوجب الحرية والمساواة والاخاء على العثمانيين كلهم فانتم الترك تمتازون الآن بمقتضى طبيعة الحال . ولو ساعدتنا التقادير نحن العرب كما ساعدتكم لسبقناكم الى اعادة الدستور منذ زمان طويل . فالكل يقولون ان مدحت باشا هو ابو الدستور وواضع القانون الاساسي ولكن يجب ان تعلموا اننا نحن السوريين تلامذة مدحت باشا واننا تلقينا الدستور عنهُ رأساً ايام كان والياً على سورية وان قلوبنا اشربت حب الدستور وروحهُ سرت فينا منذ كان مدحت باشا بيننا . وان شبابنا الاحرار المستنير العقول والمثقفين بالمعارف والعلوم عقدوا للدستور الجمعيات السرية منذ اكثر من ثلاثين سنة . ولو وجدوا عوناً من الجيش كما وجدتم ولو أيدوا من حولهم كما أيدتم من قومكم لفازوا باعادة الدستور قبلما يبصر اكثركم النور . ولكن الاقدار لم تتأنَّ لهم ما شاءته لكم فتفرق شملهم وقضوا معظم سني عمرهم ما مستترين في الخفاء او مهاجرين وغرباء او مجاهدين ومناضلين في سبيل الحرية العثمانية على قدر الطاقة خارج بلادهم . فحب الدستور نما في قلوب كهولهم وانتقل الى شبانهم واحداثهم . ولكن الله سبحانهُ وتعالى ابقى فخر اعادته لكم . وهم يغبطونكم على ذلك الآن ولكنهم لا يحسدونكم . ولما سمعوا بفوزكم باعلان الدستور ودك صروح الاستبداد سروا وفرحوا وحسبوا فوزكم فوزاً لهم واعجبوا برجائكم واطنبوا في مدح ابطالكم وجاهروا حالاً بانتصارهم لكم وتعلقهم بكم كأنكم من جملة

آحادهم بلا فرق ولا تمييز وحسبوا اعادتكم للدستور منة عظيمة قلدتموهم اياها فهم يشكرونكم عليها طول العمر ولا ينسونها لكم ابد الدهر ولكنهم يحسبون ان معاملتكم لم تكون كمعاملتهم لكم لو اعلن الدستور على يدهم اي ان يكون العثمانيون كلهم اخواناً في الحقوق والواجبات على اختلاف عناصرهم وادیانهم . وهذا هو اعتقادهم الوطيد فيكم وهذا ما يطلبونهُ ويتمسكون بهِ ولا يرجعون ابداً عنهُ . على انهم مع محافظتهم على هذا المبدإ الكلي الجوهري بكل قوتهم يراعون مقتضى الحال في اخراجهِ من القوة الى الفعل . ويرون ان الحال تقتضي الآن ما لا بد منهُ في اول الامر بطبيعة الشيء وهو ان تكون الارجحية لكم في تدبير الامور حتى لا يقع ارتباك فيها ولا يتعذر على العثمانيين بلوغ النجاح بمزاحمة بعضهم بعضاً عليها . ولهذا تروننا مع تمسكنا بمبدإ المساواة التامة نظرياً مسلمين بالرجحان الآن لكم فعلياً . ونشبه حالتنا في مملكتنا بحالة البريطانيين في مملكتهم . فالانكليز منهم لا يزال لهم الرجحان فعلاً في امور كثيرة على الاسكتلنديين والارلنديين والولش وان يكن قانونهم يقضي بالمساواة قطعياً . ولكننا تنتظر منكم المراعاة التي ينتظرها سائر البريطانيين من الانكليز . فني كل امر ترى الانكليزي يراعي اخوانهُ البريطانيين فيقول لا احسب هذه المزية لنفسي حتى احسب ما يقابلها للاسكتلندي والارلندي واين ويلس . ولا افعل هذا الامر لابنائي الا بعد ما ابقي محلاً لعتب ابناء اسكتلندا وارلندا وويلس وقس على ذلك . وانتم يجب ان تجعلوا هذه المراعاة دائماً نصب عيونكم وتتذكروا ان اخوانكم العرب وسائر العناصر تتأثر تأثراً عظيماً وتكبر اقل اغفال منكم لهذه المراعاة نظراً الى رجحان كفتكم الآن . واما اذا لم تراعوا هذه المراعاة مع العناصر الاخرى بل اغفلتم ذلك كما كان قومكم يغفلونهُ في العهد السابق فالشقاق يعود على الامة العثمانية عوضاً عن الاتحاد والعاقبة تكون وبالاً على السلطنة

فكان محدثنا يوافق على اقوالنا هذه ويظهر رغبة العنصر التركي الخالصة في مراعاة جميع العناصر العثمانية الاخرى وازالة كل عتب او تأثير من نفوس العرب ويعد بان قومهُ لا يغفلون شيئاً من ذلك وخصوصاً بعد ما يتفرغون قليلاً مما يشغلهم من الشواغل الاخرى الكلية ويجسر لهم الاهتمام بهذه الامور الحرية بالاهتمام

ومع اننا شعرنا بانا لم نعرف البواطن جلياً في هذه المسألة وانا لم نقف على الاجوبة التي تمكننا من معرفة حقيقتها لكن رأينا هو ان الترك والعرب متحدون وان اتحادهم اتم من اتحاد سائر العناصر العثمانية الاخرى . وان الريب الذي يمكن ان يداخل قوماً من الفريق الواحد والاستياء الذي يشعر بهِ قوم من الفريق الآخر لا يدومان طويلاً اذا تم امر ان احدهما ان

الترك يراعون حسنات العرب وخواطرهم و يظهرون جليًّا انهم يقدرونهم قدرهم في معاملتهم لهم والآخر ان العرب يكاشفون الترك جليًّا بما يسوءهم منهم ويعاتبونهم صريحًا على ما لا يرضيهم من افعالهم و يظهرون اخلاصهم الحقيقي لهم ولا يقتصرون على الشكوى بعضهم الى بعض وعدم ابلاغ الترك شكاويهم . ولازم هذين الامرين ان يزداد الفريقان تمازجًا وتعاشرًا ويزول التكلف من بينهما على قدر الامكان . وذلك مرجح الوقوع كما طالت المدة على نواب العرب في مجلس المبعوثان فان هؤلاء النواب الذين هم من خيرة ابناء العرب يصح ان يقال انهم أُخذوا في المجلس هذه السنة على غرة لانهم وان كانوا يعرفون اللغة التركية فاكثرهم لم يعتد الخطابة بها ولا اعتاد الحالة التي اصبح فيها لما اتى الاستانة كما اعتادها ابناء الترك في تلك المدينة وغيرها . فنأتي عن ذلك طبعًا ان الذين ظهروا معظم الظهور في المجلس هذه السنة اكثرهم من ابناء الترك او الذين وضعوا اللغة التركية مع اللبن وعاشوا طول عمرهم مع اهلها . واما نواب العرب فاكثرهم لم يتيسر لهم بعد اظهار فضلهم ومقدرتهم من العلم والعقل ولا تيسر لهم ايضًا ان يطبعوا على نفوس الترك الصورة التي يحبون طبعها عن العرب . ولكن اذا اصاب ظننا فنوابنا الكرام قد اقفوا اليوم الحالة التي كانت غريبة عليهم في اول هذا العام وهم يستعدون منذ الآن لاظهار فضل قومهم العرب الكرام في جلسة العام المقبل

فبحسن مساعيهم وبما تقدم من الملاحظات لا نخشى من وقوع شقاق سيء العاقبة بين العرب والترك بل نؤمل انهُ على توالي الايام يقوى اتحادهما حتى يصيرا قدوة لسائر العناصر العثمانية في الاتحاد والوئام

وحبذا لو صح ذلك على الترك والروم وسيأتي عليها الكلام

(٧) العناصر العثمانية — اتحادها وانشقاقها

الروم وشأنهم الخطير

لما كان العثمانيون متفقين رأيًا على ان اعظم اسباب تأخرهم وتأخر دولتهم هو تعدد عناصرهم واختلاف اديانهم لم يكد الدستور يعلن بينهم حتى صاروا يبحثون في حل يتيسر للدستور لم شعثهم وجمع كلمتهم والتغلب على ما يحول دون ذلك من تعدد عناصرهم واختلاف عقائدهم . او هل يعجز عن التغلب عليهما ويقضي الامر بسببهما الى زيادة التأخر والضعف حتى تتلاشى الجامعة العثمانية ويزول كيان الامة والدولة لا سمح الله . والظاهر ان الرأي الغالب على البلغين كان ان لا خوف من انفصال العرب عن الدولة

العثمانية مهما ارجف المرجفون · فالدستور يمكن ان يؤلف بين العرب والترك ويجعلهما عضوين حيين متفقين في جسم الامة العثمانية لانهُ مهما اختلف الترك عن العرب لم يزد اختلافهما عن اختلاف اهل بعض الولايات العربية كولاية بيروت مثلاً عن اهل ولايات اخرى عربية كولاية اليمن او احدى ولايات العراق · بل اننا اذا دققنا البحث وجدنا بين المتعلمين والمتهذبين واللذين اكثروا من الاسفار ومعاشرة الامم من العرب والترك جامعات كثيرة تجمعهم معاً ولم تجد بينهم وبين المتأخرين من قومهم غير جامعة او جامعتين بحيث يسهل على هؤلاء الترك والعرب الاتحاد والاتفاق اكثر كثيراً مما يسهلان على العرب من اهل الولايات السابقة والمتأخرة وكذلك على الترك السابقين والمتأخرين

ويقال ايضاً بوجه الاجمال ان المسيحيين من ابناء العرب يفضلون الاتحاد مع الترك الدستوريين على الاتحاد مع اهل الولايات العربية التي لا يهمها امر الدستور · ولا يختلف اثنان منهم في ان الاتفاق مع رجال مستنيري الاذهان كالاعضاء الترك في جمعية الاتحاد والترقي مثلاً احب اليهم واسهل عليهم بكثير من الاتفاق مع قبائل البادية او عرب الولايات المتأخرة · وعليه يكون كثيرون من العرب اميل الى الاتحاد بالترك منهم الى الاتحاد بعضهم ببعض ولا يكاد يحتمل ان يتحد العرب اتحاداً عاماً ويطلبوا الانفصال عن الدولة الاَّ اذا اضطروا الى ذلك رغماً عنهم لسبب من الاسباب التي لا يصبر عليها الناس كأن يجور الترك عليهم مثلاً ويحملوهم فوق طاقتهم ويذلوهم ويمتهنوهم ويهضموا حقوقهم التي يمنحهم الدستور اياها فحينئذٍ تجمعهم الشدائد فيتحدون للدفاع عن حياتهم وحريتهم وحقوقهم · ولكن الامل وطيد انهُ لا يقع في عهد الدستور شيءٌ من هذا القبيل

وكان الرأي الغالب ايضاً ان مزايا الدستور تتغلب على ميل الارمن الى الاستقلال · لانهُ متى تمتع الارمن بكثير من النعم الدستورية التي كانوا لا يذوقون لذتها في عهد الاستبداد يغلب عليهم الرضى ويضعف فيهم الميل الى الاتحاد القوي على الدولة وطلب الانفصال عنها

على ان نتيجة المذابح الاخيرة لا بد وان تضاد هذا الرأي بعض المضادة لسوء الحظ ولكن سعي الحكومة العثمانية الآن في اجراء العدل واقامة الحق وانصاف المظلوم من الظالم لا بدَّ وان يزيل معظم تأثير هذه المذابح من نفوس الارمن · وحينئذٍ يصح الرأي الذي كان الناس يرونهُ بعد اعلان الدستور ويترجح ان الارمن يكونون عضواً حيًّا عاملاً في جسم الامة العثمانية ايضاً

على ان رأي معظم الباحثين كان بخلاف ذلك عن الروم · والمراد بالروم اليونان

التابعون للدولة العلية تمييزاً لهم عن المستقلين المعروفين باليونان . فهؤلاء الروم او الارومان تختلف حالهم عن احوال سواهم من العناصر العثمانية في كونهم من جنس واحد هم واليونان المستقلون اذ ليس بين العناصر العثمانية عنصر غيرهم له من قومه شقيق مستقل ومملكة قائمة برأسها

ومما هو مشهور عن الروم واليونان ان الجامعة القومية شديدة فيهم جداً واميالهم الوطنية على غاية القوة وحب الاستقلال فيهم لا يقل عن حب الاستقلال في نفس كل امة مستقلة حية . فلذلك ولاختلاف حال الارومان عن احوال سواهم من العناصر العثمانية كما تقدم كان الرأي الغالب من بدوء الامر انهم سيكونون حائلاً هائلاً وسداً محكماً في سبيل اتحاد العناصر العثمانية لكي لا يتكون منها في عالم الاجتماع جسم واحد هو الامة العثمانية منفصل ومستقل عن كل امة أخرى وخاضع لراية واحدة ولنظام دستوري واحد

وزد على ما تقدم ان ضعف الدولة واختلال ربط الامة في عهد عبدالحميد خصوصاً قوّى اعتقاد الناس بقرب مصير الدولة الى الزوال وزين لبعض العناصر اموراً لم تكن تحلم بها لولا ذلك . فلا عجب اذا عاشت في الروم الآمال بعد ما طوتها الايام وفكر قوم منهم في استرجاع بلاد آبائهم واجدادهم واملوا ان يكون ذلك نصيبهم من تركة « الرجل العليل » بعد اقتسامها وان يظفروا بالاستقلال والانضمام الى اخوانهم واعادة مجد مملكة اليونان . كل ذلك طبيعي والنفس ميالة اليه وما من عنصر الاّ ويقع فيه اذا حلّ محل الارومان وجرب تجربتهم

ومما يسوءنا ذكرهُ ان رأي الباحثين تحقق ومن قلة التوفيق ان الخلاف وقع بين الترك والروم قبل ان تتخلص من محنة الترك والارمن ولا حاجة بنا الى تفصيل ما وقع بينهم وشرح اسباب ذلك الخلاف والنزاع فقد اطلع القراء عليها كلها بالاسهاب في المقتطف . وانما نقول اننا لما وصلنا الى الامتانة وجدنا الخواطر مضطربة فيها بسبب هذا الخلاف اضطراباً شديداً انسى اهلها ما سواهُ من المشاغل والمشاكل وان المجادلات الشديدة التي كانت تجري حينئذٍ على بعض المسائل في مجلس المبعوثان كمسائل التعليم والجمعيات ونحوها كان الترك يحسبون ان الارومان هم الذين يضرمون نارها ويحمون اوارها وانهُ لولاهم لما عارض المعارضون تلك المعارضة فيها

وقد حادثنا رجالاً مختلفين من الترك في امر هذا الخلاف فكنا نرى منهم تألماً شديداً منهُ وتململاً وتذمراً من اضطرارهم الى الصبر عليهِ . لان الاعتقاد الغالب عليهم هو ان الروم يفعلون ما يفعلون تحكماً وتحرشاً بهم وتعمداً لتكدير صفوهم والقاء المشاكل في سبيلهم لكي

لا ينجحوا في اصلاح الاحوال وتدبير الامور علماً منهم انهُ اذا جرى الاصلاح وتحسنت امور الدولة خابت آمالهم من الحصول على التركة واسترجاع ميراث آبائهم واجدادهم فهم يخلقون المشاكل عمداً ويقصدون توسيع الخرق قصداً

ومما زاد الطين بلة حدوث مسألة كريت في هذه الآونة ووقوف الارنوام في موقف حرج جداً بسببها لانهم اذا اظهروا ميلهم الى الكريتيين واليونان اسخطوا العثمانيين واذا اظهروا ميلهم الى العثمانيين اسخطوا اخوانهم في الجنس واغضبوا الذين يميلون اليهم بالطبع . فتضاعف المشاكل من جهة وحدوث المسألة الكريتية من جهة اخرى اشتد الجفاء جداً بين الروم والترك في الاستانة خصوصاً . ولما كان الروم عثمانيين مثلنا وكانوا بحسب نص القانون الاساسي اخواننا وبنا وفينا يجب لهم وعليهم ما يجب لنا وعلينا فكل عثماني عاقل يود تدارك هذا الخلاف بما يزيلهُ ومعالجة هذه الحالة المعتلة بحسن السياسة والحكمة . اذ العلاج الوحيد الذي يجب ان يلجأ العثمانيون اليهِ وان يسابق عقلاؤهم في مضمارهِ هو الحكمة وحسن السياسة للتأليف بين القلوب المتنافرة والتوفيق بين المتخالفين . واما ما سواهُ مثل قيام قوم على قوم وذبحهم بعضهم بعضاً واحراق منازل بعضهم البعض فمن الوسائط الفظيعة التي كان الناس يلجأون اليها في عهد الجهل والتوحش والخشونة ويعاب عليهم الاعتماد على اقل شيء منها في عهد العلم والتمدن والحرية

ولهذا قلنا يوماً لبعض النابغين من شبان الاتحاد والترقي لماذا لا تجتنب الحكومة ومجلس المبعوثان الآن كل مسألة لها تعلق بالاختلافات الجنسية والدينية ولماذا لا يقتصر بحثهما على المسائل العمومية التي هي اولى بالنظر والاهتمام اليوم فانهما لو فعلا ذلك لقضيا مصالح الامة واغنياها عن هذه المشاكل القومية والمذهبية

فقال واي المسائل العمومية تعنون . قلنا اننا نعني مسائل الادارة والقضاء والمالية فالبلاد العثمانية كلها بلا استثناء محتاجة الى اصلاح هذه الامور اشد الاحتياج اذ ادارة الولايات مختلة معتلة ولم تكد تختلف في عهد الدستور عما كانت عليهِ في عهد الاستبداد بل لا تزال شكوى الناس ماثلة الآفاق ولولا الاحكام العرفية التي وضعت على بعض الولايات فارهبت اهالي الولايات الاخرى ولولا بعض المأمورين الاكفاء المتصفين بالحزم والشدة في حفظ الامن العام لكان اهل الولايات الآن فوضى يسودهم طغامهم ولا امان لهم على ارواحهم واعراضهم واموالهم . ثم ان المحاكم العثمانية لا تزال اسماً بلا مسمى والقضاء شبح بلا روح والعدل لا عين لهُ ولا اثر والاعشار آفة على الفلاح والضرائب ثقل كاهل الاهالي والخزينة

العثمانية في احتياج لا يوصف الى المال . ولو سألت العثمانيين كلهم لاجابوك على اختلاف مللهم ونحلهم ان حاجتنا الكبرى هي الى اصلاح هذه الامور الكبرى واننا نطلب تقديم النظر فيها على النظر في كل ما سواها فلماذا لا نصرف همنا الآن الى اصلاح هذه الامور التي تتفق العناصر كلها فيها . ثم اننا متى اصلحناها وتبين نجاحنا فيها قويت حجتنا عند الجمهور في اصلاح ما سواها وسهل علينا ان نستميلهم الى رأينا وان نحبط مساعي الذين يقصدون معاندتنا ومشاكستنا لافساد عملنا وقضاء مآربهم

فقال ان هذا ما نحن جارون فيه الآن وشرح لنا بعض المشروعات التي تضعها الحكومة العثمانية الآن لاصلاح الادارة والقضاء والمالية (وربما ذكرناها في مكان آخر)

ثم قال اننا نحن لا نريد التعرض للمسائل التي تلقي الاختلافات الجنسية والمذهبية بل نسعى جهدنا في اجتنابها ولكن الاروام هم الذين يفتحونها ويضطروننا الى مناقشتهم فيها رغماً عنا كمسألة التعليم مثلاً فان المشروع الذي عرض على مجلس المبعوثان كان مما يتعلق بامر التعليم والمدارس في الحال بلا نظر الى ما يكون في الاستقبال فابى الاروام ومبعوثانهم الاّ توسيع نطاق البحث في المسألة واكراهنا على البت في امر التعليم والمدارس في المستقبل كالبت بها في الحال . وهكذا شأنهم معنا في سائر الامور فانهم يقصدون معاندتنا واعناتنا

ولما اطال الشكوى من هذا القبيل واكثر من التألم من معاندة الاروام ونسبها الى دسائس اليونان قلنا وما الذي تقصدون ان تفعلوه لاصلاح هذه الحال وما هو الرأي عندكم في حل هذه العقدة . فقال الرأي عندنا ان نقابلها بمزيد الصبر وسعة الصدر وتركهم وشأنهم ولا نقابلهم الاّ بالطرق الدستورية والوسائط القانونية حتى يكلّوا ويفرغ جهدهم ويكفوا عن معاندة لا تنفعهم ولا تضرنا لاننا واثقون بقوتنا فلا نخشى بأسهم اذا ارادوا ان يخرجوا مساعيهم من القوة الى الفعل ليضروا بنا وفي ما سوى ذلك فما وام الامر كله كلاماً في كلام فاننا نقابلهم ايضاً بالكلام حتى يعودوا الى طلب الاتفاق والوئام

فلما رأينا هذا الاطمئنان التام من محدثنا وفهمنا ما يتوبه الترك ومن معهم من العثمانيين من جهة الاروام احببنا ان نقف على آراء الروم ايضاً فقصدنا الفنار حيث تتضح غبطة البطريرك المسكوني بحديث طويل عما نلخصهُ في مقالة تالية

(٨) الروم وغبطة بطريرك الفنار

مقبرة ايوب اشهر مقبرة في الاستانة تضم رفات عدد عديد من اولاد السلاطين وعظام

الوزراء وقواد الجيوش العثمانية واكابر رجال الدولة وشيوخ الاسلام والذين كان لهم الصول والطول في زمانهم من الخصيان وفيها القبور المزخرفة والتحف الفاخرة . قصدناها صبيحة يوم مع حضرة الفاضل الانوكاتو خليل بولاد فاكبرنا ما فيها من المدافن والقبور ووددنا لو تيسر لنا قضاء الوقت الكافي في تنقد اضرحتها وقراءة ما كتب عليها لان الانسان يستخلص منها تاريخاً نفيساً عظيم القيمة حاوياً اكثر الذين نبغوا من رجال الدولة . وحبذا لو قام من ادباء الاستانة من يفعل ذلك قبل ان تذهب عوامل الاهمال والاغفال البادية آثارها على تلك المدافن والقبور بكثير مما قد نقش على تلك الاضرحة من الاسماء والالقاب والتواريخ

وسرنا اليها في طريق ضيقة تعاف النفس المسير فيها ويقلق راكب المركبة من كثرة الطقطقة في مسيره على بلاطها . وبينا نحن نلوم الدليل لانهُ سار بنا في هذه الطريق ولم يوافقنا على المسير في قرن الذهب كما كان مرادنا كان من جملة ما اعتذر به الينا اننا قربنا من بطريركية الفنار وهي مكان تاريخي شهير يقصد السياح رؤيتهُ من الاقطار . فقبلنا عذرهُ حينئذٍ وقلنا سربنا اذاً الى بطريركية الفنار حتى اذا دنونا منها زالت الصورة العظيمة الفخيمة التي كانت مرسومة لبطريركية الفنار في الخيال وارتسمت على ذهننا صورة بيت كبير ليس فيهِ شيء من آثار الهندسة او النقش والنحت او الزينة والزخرفة وانما عظمتهُ ومهابتهُ قائمتان بكونهِ بناء قديماً ومعهداً عظيماً بل اعظم معهد نصراني في الشرق كلهِ . فشعرنا حين رؤيتهِ بمثل ما شعرنا حين رأينا الباب العالي ودخلنا منهُ الى الدواوين التي في ساحتهِ او كما شعرنا حين دخلنا مدينة اكسفورد ونظرنا مدارسها وكنائسها لاول مرة ورأينا ان قديمتها هي سر عظمة مبانيها ومهابتها

ثم سألنا عن غبطة بطريرك الفنار واعربنا عن رغبتنا في التشرف بمقابلتهِ فقيل لنا انهُ يقضي الصيف في مكان على البسفور وضرب لنا ميعاد يقابلنا فيهِ اذا اتينا الفنار فشكرنا وانصرفنا

وفي يوم الخميس (٢٩ يوليو) خرجنا من مشيخة الاسلام الجليلة حيث تشرفنا بمقابلة سماحتلو شيخ الاسلام ومحادثتهِ وقصدنا الفنار فاصعدونا حالاً الى قاعة قد جلس غبطة بطريرك الفنار في صدرها وعلقت على جدرانها صور من تقدمهُ من البطاركة فاحسن غبطتهُ ملتقانا . ولما وجد اننا لا نتكلم بالتركية ولا باليونانية اجلس ترجمانهُ يترجم بيننا لان غبطتهُ يفهم الفرنسوية ولكنهُ لا يحسن التكلم بها فشرحنا لهُ غرضنا من تلك المقابلة ولم نخف عن غبطتهِ ان المقام فتح ابوابهُ لشكوى اخوانهِ من المتنصرين الى طائفة الروم الارثوذكس في القدس الشريف وفلسطين وانهُ انتصر لهم ايضاً انتصاراً عظيماً وايدهم تأييداً شديداً لاعتقادهِ انهم مظلومون وان الواجب عليهِ اغاثتهم لدفع الظلم عنهم

فلما علم غرضنا (وظهر لنا انهُ لم يكن يجهل امر المقطم قبل تشرفنا بمقابلتهِ) شدد عزائمنا في القيام بخدمتنا حسبما لقضي بهِ ذمتنا وحسبما يقتضيهِ شرف الصحافة صناعتنا . وكل ذلك بعبارات منتقاة ومعانٍ سامية كان لها احسن وقع في نفسنا . ثم تنفس الصعداء وقال اننا نتهم في هذه الايام بمقاومة الدستور وعداوتهِ ولا ادري بأي وجه حق تجوز علينا هذه التهمة لاننا في الاصل من امة قد غرس حب الدستور في طبيعتها فصار يجري في دمائها ويتوارثهُ الابناء عن الآباء بالفطرة وزد على ذلك اننا ابناء كنيسة قد اشتهرت على مر الايام والاعوام بانها دستورية النظام وليس دستورية فقط بل دستورية ديمقراطية ايضاً . فكيف يمكن ان نكره الدستور او ان نعاديهُ حتى نتهم بانا اعداؤهُ والمقاومون لهُ . ألا إن الذين يتهموننا بمقاومة الدستور وبالانتصار للاستبداد ويتباهون بانهم أعوان الدستور وحماتهُ هم في الواقع ابعد الناس عن جادة الدستور واقلهم عملاً بمقتضاهُ واشدهم استبداداً . لانهم يريدون ان نقول في كل شيء قولهم وان نرى رأيهم وان لا نجري الاَّ على هواهم ومرادهم . واذا تمنعنا عن ذلك أو ابيناهُ لم يحاولوا ان يقنعونا بهِ بالبرهان والدليل او ان يحملونا على قبولهِ باظهار وجوه الفضل والصواب فيهِ بل قاموا يتوعدوننا ويتهددوننا ويجبروننا على مجاراتهم في آرائهم واهوائهم والجري على مشيئتهم ورغبتهم بالضرب والقتل والسجن والتعذيب واقبح وسائط الاستبداد . فلا ادري كيف يحسبون بعد هذا انهم انصار الدستور ويدعون انا اعوان الاستبداد

لا احد ينكر انهُ يحق لكل حكومة ان تحافظ على كيانها وتدافع عن نفسها وتقمع كل فتنة او ثورة عليها ولم أكن قطُّ لاعترض انا او غيري على سعي الحكومة العثمانية في قمع كل ثورة تبدو من الارواح واحباط سعي كل من يكيد منهم لها او يتآمر عليها . وانما اقول انهُ يجب اولاً اثبات حصول الثورة او وقوع المكيدة والمؤامرة . وبعبارة أخرى انهُ اذا شاع حدوث ثورة او مكيدة يجب قبل كل شيء التحقيق الدقيق لمعرفة ما اذا كان حدوث الثورة او المؤامرة صحيحاً او غير صحيح واذا كان صحيحاً فلمعرفة الداخلين فيها من المتهمين ومحاكمتهم ومعاقبتهم حسب نص القوانين ولمعرفة الذين لا دخل لهم فيها من المتهمين وتبرئتهم وعدم معاقبتهم

هذا الذي نطلبهُ من الحكومة العثمانية باعتبار كونها دستورية ذات نظامات ومحاكم وقوانين وهو واجب على كل حكومة دستورية واذا حادت عنهُ ولم تراعهِ لم يجز لها ان تدعي انها دستورية

فالذي حصل فعلاً في امر الذين اتهموا بالثورات او المؤامرات من الارومات العثمانيين لم يكن كذلك بل رأينا العساكر ترسل عليهم لمجرد شيوع خبر التهمة وتعمل سلاحها فيهم وتدير ايديها بالسلب والنهب في منازلهم وتستحل ما لا يحل وتستبيح ما لا يباح في معاملتهم قبل ان يجري تحقيق او تثبت تهمة او يعرف المذنب من البريء . فهذه الافعال ليست افعالاً دستورية بل هي افعال قلت للنوي الشان عنها انها وحشية برية لان كل ما تفعله الحكومة الى حد التحقيق جائز لها ولا يجوز لاحد انكاره عليها . واما في ما وراء ذلك فلا يجوز لها ان تخطو خطوة ولا تقوه بحكم ولا تمد يداً الى احد الا بعد التحقيق ومعرفة البريء من الاثيم

واطال غبطته بهذا المعنى . فقلنا وأي الروم تعنون غبطتكم أروم ايفالي في ولاية ايدين قال اني اعني هؤلاء وغيرهم في كل البلاد فان الاخبار التي تأتينا من كل جهة تدل على ان الناس يعاملون هذه المعاملة فيها . ثم امر الترجمان ان يعطينا صورة من الشكاوي والتقارير المرفوعة الى بطريركية الفنار . وقد تصفحناها فاذا هي حاوية اخبار ما اصاب الارومة من ضرب العساكر لهم وسجنهم وتهديد الرعاع بقتلهم ونهب منازلهم في ايفالي وما جاورها وكذلك اخبار الذين حكم عليهم ديوان الحرب بالسجن والعقاب لامور لا تعد جرائم ولا يعاقب الناس عليها في بلاد دستورية

وورد في تقرير منها ان عزيز بك القومندان العسكري الذي اتى ايفالي في ٦ يونيو الماضي قال لمطرانها انكم انتم ايها المطارنة ورجال الاكليروس عموماً تطمعون بالجامعة اليونانية وتطلون النفس بها وتحرضون الاهالي عليها بتعليمكم لهم ان الواجب عليكم هو ان تنتصروا على اتمام واجباتكم الدينية وان تزيلوا الحاجز الذي تقيمونه بينكم وبينهم فضعوا عقولكم في رؤوسكم واعلموا اننا اعدمنا خمس مئة نفس من الصفاء المتعصبين مثلكم في الاستانة فلاحترز لنفسك مني . وكرر الوعيد ست مرات فتصل المطران عما يتهم به واحتج على ذلك الكلام . لكن عزيز بك لم يخل بكلامه وقال انكم تظنون ان اوربا تدخل في مسألتكم وانكم تخرجون فائزين . نعم اننا نخسر ولكننا لا نترك لكم قبل ذلك اثراً ينظر . فارجعوا عن تعصبكم وكفوا عن بث البغض في صدور بني جنسكم للعناصر الاخرى والا فعلت كيت وكيت مما لا فائدة من ذكره ولا غرض في ايراده وانما ذكرنا ما تقدم ليعلم القارىء مقدار التأثير الذي توثره تلك الشكاوي في من ترفع اليه

وقال غبطته ايضاً حدثت مسألة كريت هذه الايام وما منا من يقول انه يجب علينا ان

نرضى بفصل جزء من املاك السلطنة عنها واخذه بغيرها ولا يهون ذلك على احد من العثمانيين لكنا لزمنا السكوت في هذه المسألة علمنا ان امرها قد خرج من ايدينا وبات في ايدي الدول من زمان طويل وانهُ لا يجري فيها غير ما يقر عليهِ قرار الدول مهما اكثرنا من القول والوعيد والابراق والارعاد . واما رجال الاتحاد والترقي فلم يشاؤوا ان يفعلوا فعلنا بل قالوا واعترضوا كثيراً واحتجوا طويلاً . وماذا كانت النتيجة من ذلك كلهِ أغيّر قرار الدول ام رد الى الدولة شيئاً كان قد تقرر اخذهُ منها وفصلهُ عنها . فلا فائدة اذاً من صياحهم كما انهُ لا ضرر من سكوتنا ولكنهم لا يقنعون عند هذا الحد بل يتخذون سكوتنا دليلاً على اننا نكرهُ الدولة ونبغض الدستور ونطلب ان تؤخذ املاك الدولة العثمانية منها وتعطى لغيرها . وليس في هذا الاستدلال وجه حق ولا انصاف

اننا لا نكره الاتفاق ولا نقاوم الدستور . ولكن رجال الاتحاد والترقي يرمون الى غرض لا يمكننا ان نوافقهم عليهِ ولن نرضى ان نجاريهم فيهِ . فهم يقصدون ان يغلّبوا قوميتهم على قوميتنا وان يبتلع العنصر التركي سائر العناصر العثمانية حتى لا تكون الامة العثمانية مؤلفة من عناصر مختلفة ومتحدة معاً في جسم واحد لها حقوق واحدة وعليها واجبات واحدة بل تكون الامة العثمانية كلها امة تركية يبتلع العنصر التركي سائر العناصر ويهضمها حتى تصير منهُ ولا يبقى لها وجود الاَّ فيهِ . فلهذا يريدون ان يغلبوا لغتهم على لغاتنا حتى لا يبقى شان لسوى لغتهم وان يغلبوا كل شيء خاص بهم على ما لسواهم حتى لا يبقى في السلطنة العثمانية غير الامة التركية . ونحن الروم قد حافظنا على جنسيتنا ولغتنا وعاداتنا وخصائصنا وديانتنا كل هذه القرون ولن نوافق الترك كل دهرنا على ان نضيع ما حافظنا عليهِ وان نصير منهم وان لا يبقى لنا كيان ولا وجود الاَّ فيهم

فقلنا حينئذٍ لسنا نظن يا سيدنا ان رجال الاتحاد والترقي يرتكبون هذا الخطاء بل لا بد ان يكونوا ادرى من غيرهم بان ما لم يفعلهُ الترك في اول حكمهم لا يمكنهم فعلهُ الآن بعد ان قوي امر العناصر كل هذا الزمان على اننا لو فرضنا انهم ارتكبوا ذلك الخطاء وقصدوا تغليب قوميتهم على قومية سواهم الآن فعدم نجاحهم مؤكد ولا خوف منهم من هذا القبيل لاننا اذا امعنا النظر في طبائع العنصر التركي وخصائصهِ والقوى التي امتاز بها نجد انهُ لا يستطيع ذلك التغلب على العناصر الاخرى وابتلاعها وجعلها كلها منهُ وفيهِ ولاسيما في هذا العصر الذي انتشر فيهِ العلم بين افراد كل عنصر

فلم يوافقنا غبطتهُ على قولنا هذا وقال ان هذا ما يقصدونهُ وانهم يستطيعون تغليب قوميتهم

على قومية سواهم اذا تركوا وشأنهم . وان هذا ما حدا بهم الى ترك المسائل الكبرى العمومية واصلاح ما تفتقر البلاد كلها الى اصلاحه وفتح المسائل الطائفية التي يقصدون بها سلبنا امتيازاتنا التي تمتع بها منذ اول حكمهم والتعرض لنا في مدارسنا وتعليم ابنائنا . فقلنا ولكنهم لم يتكون من ان فتح هذه المسائل الطائفية كان من قبلكم و يخطأون لانهم يحسبون انكم تقصدون بها معارضتهم لكي تمنعوهم من الاصلاح وتسدوا امامهم سبل النجاح

فقال غبطته اي مصلحة لنا نحن في جر البلية على انفسنا وكيف يعقل اننا نتعرض بهم لكي يتعرضوا لنا في مدارسنا وشؤوننا و يتنازعونا في امتيازاتنا . انما هم قصدوا ذلك وهم ساعون فيه وفي فصل قومنا عن كنيستهم وفي ابعاد قومنا عن بطريركهم ولكن هذا امر لا يتم لهم في عام وعامين بل لا بد لهُ من زمان طويل

فقلنا وما الذي تقصدون غبطتكم اذاً ان تفعلوهُ والحالة هذه . قال ان نحافظ على الحال الحاضرة بكل واسطة شرعية دستورية نستطيعها وان نقاوم بمثل تلك الوسائط كل سعي في ابتلاع عنصرنا وتلاشي قوميتنا

فقلنا وهل تظنون انكم تنجحون في سعيكم ومن يؤيدكم فيهِ

قال ان املنا وطيد بالنجاح و يؤيدنا فيهِ كثيرون من رجال الدولة العلية نفسها

فقلنا أمن رجال تركيا العجوز ام من رجال تركيا الفتاة . قال من الفريقين ثم انتقلنا الى بحث آخر

ولما انصرفنا جعلنا نقلب في نفسنا اقوالهُ والاقوال التي سمعناها من بعض رجال تركيا الفتاة فرأينا ان كل فريق يتهم الآخر بانهُ هو الذي يسعى في فتح المسائل الطائفية التي تؤدي الى الشقاق والخلاف الآن وان كل فريق يقول انهُ يسعى في دفع تعدي الفريق الآخر بالوسائط الشرعية والطرق الدستورية . فقلنا أليس ذلك دليلاً على ان الوهم والخطأ في الفهم هما اللذان وسعا شقة الخلاف بين الفريقين . وهل كان هذا الخلاف يدوم و يتعاظم لو قام محبو الصلح والسلام ووفقوا بينهما وجمعوا القلوب بربط المحبة والصفاء

لما اعلن الدستور ذهب العثمانيون الى بطريركية الفنار وقبلوا يد غبطة البطريرك وقالوا لهُ اقوالاً ادت الى تقبيلهم في جباههم وقولهم لهم اقوالاً ما سمع العثمانيون الذ واطيب منها طول زمانهم ونسي الفريقان احقادهم . فلو دامت ربط الاخلاص هذه بدوام الانتباه وحسن السياسة أفما كانت تقينا شر هذه الاختلافات والعداوات وتوطد الدستور على اركان السلام والوئام

هذا ولا نخفي عن القراء الكرام ان ما رأيناهُ من تعاظم الجفاء واتساع شقة الخلاف بين الفريقين واعتماد كل منهما على الوقوف بالمرصاد للفريق الآخر ساءنا كثيراً ودلنا على ان الاصلاح الذي يتناولهُ العثمانيون سيكون سبيلهُ شاقًّا جدًّا وزمانهُ طويلاً

(٩) الالبانيون والامرائيليون

يقدر عدد السكان في تركيا اوربا اي في ولايات الاستانة وادرنة وسلانيك وموناستر وقوصوه واشقودره (بالبانيا) ويانيا ومتصرفية شالجه بنحو ستة ملايين وربع مليون نفس . ويقول الذين يوثق بقولهم ان ٧٠ في المئة من اولئك السكان ترك وروم واليان (ارنؤد) وان هذه العناصر الثلثة متساوية في العدد هناك وعليهِ يكون عدد الالبان قريباً من مليون ونصف كعدد الترك اوعدد اليونان في ولايات اوربا . والذي يعلم ما اتصف بهِ العنصر الالباني من الشجاعة والاقدام يقدرهُ قدرهُ من العناصر المؤلفة للامة العثمانية لاسيما وان هذا العنصر وان يكن قديم عهد بين العناصر العثمانية لا يزال في عهد السذاجة الفطرية ولم يبلغ من النشوء والارتقاء شأواً يذكر في قواهُ العقلية والادبية

وقد سمعنا بعض الباحثين يقولون ان هذا العنصر لا بد وان يرتقي ارتقاء عظيماً في كل جهة تتجه اليها قواهُ وهم ينتظرون ان يكون لهُ شأن خطير بين العناصر العثمانية وغيرها من الامم المجاورة

ومن غريب ما أُخبرنا عنهُ ونحن في الاستانة انهُ وان كان تعدد الاديان والمذاهب قد تطرق اليهِ كما تطرق الى سواهُ فاصبح فيهِ المسلمون والمسيحيون واصبح المسيحيون ارثوذكساً وكاثوليكاً لكن الاختلاف في الاديان والمذاهب لم يفرق بين طوائفهِ قدر ما فرق بين طوائف العناصر الاخرى بل ان صلة القربى وجامعة النسب لا تزالان غالبتين عندهم على جامعة الدين ولاسيما في الجهات الوسطى والشمالية من بلادهم . فترى المسلم يقول هذا ابن عمي ولو كان ابن عمهِ مسيحيًّا والمسيحي يقول كذلك . وترى المسيحي يتزوج بالمسلمة كما يتزوج المسلم بالمسيحية . وهذا مخالف لما كنا نقرأهُ عنهم في تاريخهم فقد ورد في التاريخ ان الارنؤوط كانوا كلهم مسيحيين وظلوا كذلك حتى مات آخر بطل من رؤسائهم واسمهُ اسكندر بك سنة ١٤٦٧ وبعد ذلك اخضعهم الترك واسلم كثيرون منهم وقام هؤلاء المسلمون على الذين لم يسلموا من عشائرهم وعاملوهم بالشدة والقسوة وفتكوا بهم بلا شفقة وتأصلت العداوات بينهم من ذلك الحين

ولكن يظهر ان معاهدة برلين لمت شعثهم وجمعت بين المسلمين والمسيحيين (المردة) في الشمال ثم بينهم وبين سائر الارنؤوط في الثورات المتعددة التي ثاروها لمنع اهل الجبل الاسود واليونان من اخذ ما تقرر في معاهدة برلين ان يأخذوا من بلاد الالبان

والظاهر ان اكثر ما كان من الاختلاف بينهم بسبب اختلاف رؤساء عشائرهم زال الآن وانهم وجهوا عنايتهم الى الاتحاد والالتئام في عهد الدستور . ولكن لم يتيسر لنا ونحن في الاستانة ان نقابل منهم من يكشف لنا حقيقة الحال عندهم ويوضح آراءهم او اميالهم من جهة النهضة الدستورية الحالية . وانما لحظنا من خلال الاقوال التي كنا نسمعها ان الجماعات من الالبانيين كلمة نافذة في ما يجري الآن في الدولة . وان لهم في جمعية الاتحاد والترقي مراعاة واعتباراً . وانهُ بعد ما اخمد جاويد باشا الثورة التي ابتدأت في اماكن من بلادهم يؤمل ان يخلدوا الى السكون وان يستمالوا بحسن السياسة وكف الظلم عنهم الى مجاراة سائر العناصر العثمانية في الاصلاح والارتقاء . ولكن الذين يناط بهم اصلاح الامور لا يمكنهم ان يغمضوا الاجفان عن مراقبة احوالهم وأميالهم لان مثلهم على ما يظهر مثل الواقف على المحور فيمكن ان يميل الى الدولة اذا مال المحور الى تلك الجهة كما يمكن ان يميل عنها اذا مال الى الجهة الاخرى . وهذا ما يقتضي ان يحسب حسابهُ في الحل والعقد والنقض والابرام حتى يكون كل ذلك بمقدار ولا يخرج الارنؤوط عن حد الرضى والاتفاق

بقي علينا ذكر عنصر آخر من العناصر العثمانية التي لابدَّ من ان يحسب لهُ شأن في النهضة الدستورية وهو العنصر الاسرائيلي ويقدر ان عددهُ يبلغ نحو نصف مليون نفس في تركيا اوربا وتركيا اسيا . لكن يهود الاستانة فاقوا سواهم يوم الاحتفال بعيد الدستور بتوكيههم ومظاهر سرورهم بالدستور وقد اخبرنا انهُ لما زحف جيش الحرية على الاستانة للدفاع عن الدستور كان بين المتطوعين من اهل مكدونية عدد غير قليل من الاسرائيليين فقاتلوا هم واخوانهم المتطوعون المسيحيون قتال الابطال في الدفاع عن الدستور كما شهد لهم بهذا اخوانهم المتطوعين المسلمين وقد كان بين المندوبين لابلاغ عبدالحميد خبر خلعهِ اسرائيلي من اعضاء مجلس المبعوثان . ويقال ان للاسرائيليين كلمة في جمعية الاتحاد والترقي بسلانيك وان جماعة اسرائيلي الاصل يسمون بالدغه يدعم اهم تجارة سلانيك وانهُ قام من هؤلاء الدغة اشهر المابين العثمانيين في عهد الدستور

ومهما يكن من هذه الاقوال فالظاهر ان رجال الدولة الحالية يثقون بصدق ولاء الاسرائيليين العثمانيين للدستور وانهُ سيكون للاسرائيليين شأن في عهد الدستور غير الشأن

الذي كان لهم في ايام الظلم والاستبداد . ولذلك لا يبعد ان تكثر مهاجرة اخوانهم الفرباء الى البلاد العثمانية واستعمارهم الاراضي البائرة الآن كغفار العراق وغيرها من الجهات التي ليست آهلة بالسكان

فالبيان الذي ذكر في هذه المقالة والمقالات السابقة اولاً عن رجال تركيا الفتاة ورجال تركيا العجوز وثانياً عن العناصر العثمانية وآرائها واحوالها واميالها يجلو للقارىء بعض ما يعترض في سبيل الاصلاح . وبعض ما يساعد ايضاً على النجاح . وكان الواجب لاستيفاء الكلام على العناصر العثمانية ان نذكر الدروز والاكراد ايضاً . ولكن الدروز يمشي عليهم اجمالاً ما قلناهُ عن العرب لانهم يعدُّون منهم في ما نحن بصدده وكذلك الكرد يمكن ان يعدوا في عداد الترك او العرب حسب موقع بلادهم . وسنبدي رأينا الخصوصي في الحالة في مقالة تالية ثم نختم مقالاتنا عن زيارة الاستانة بنظرة عمومية في الاستانة واهلها وضواحيها والله المستعان

العنكبوت

حقيقة في فكاهة

دخلتُ غابة باسقة الاشجار ملتفة الاغصان يجري فيها نهر متعرج . فلما وصلت اليهِ شاهدت على احدى ضفتيهِ عنكبوتاً سوداء اللون جالسة على حجر تنظف وجهها بيديها كما يفعل الذباب وهي نحيفة خائرة القوى . فرأيت ان افضل ما افتتح بهِ الحديث معها السؤال عن صحتها فقلت لها اراكِ منحرفة المزاج فما يؤلمكِ

فقالت اني مريضة وخائفة وقلقة

فقلت ما الخبر ولم يخطر ببالي قط ان عنكبوتاً مثلكِ تمرض وتخاف وقد خصصتِ بقوة لم يخص بها سواكِ

فقالت وهذه احدى البليتين فان الناس يظنون الظنون ويستنتجون النتائج من مقدمات فاسدة لا تنتج شيئاً ومع ذلك فاني اظن ان فصبي تفتح عينيك فترى الامور على حقيقتها . أتعلم اننا نحن معشر العناكب من أكثر المخلوقات اجتهاداً واوسعهم حيلةً فنحن اول من طار في الهواء بغير جناح . فمع ان الخفافيش تطير ولا جناح لها ولكن بين قوائمها وظهرها اغشية

رقيقة كالاجنحة ومثلها السناجيب الطيارة اما نحن العناكب فليس لنا اجنحة ولا اغشية ومع ذلك تمكنّا من ركوب الهواء ولم يشاركنا في ذلك الاّ الانسان لكننا سبقناهُ بقرون كثيرة . قل لي متى استطاع قومك الطيران

نقلت سنة ١٧٠٩

فقالت هكذا ظننت اما نحن فقد ركبنا الهواء قبل عصر العمران واليك شرح قصتي — حدث منذ سنين ان امي كانت جالسة في تعريتها فاتاها الطلق وجعلت تبيض بيضها واحدة بعد الاخرى وظلت تبيض الى ان بلغ عدد ما باضتهُ ذلك اليوم ثلثمئة بيضة وخافت ان تتفرق البيوض فلا يعود لها سبيل اليها فجعلت تغزل الخيوط من مغازلها وهي ست انابيب في ذنبها تغزل الخيوط الحريرية الدقيقة التي تسمونها نسيج العنكبوت وتضربون بها المثل في الوهن لدقتها وهي لو جُمعت بعضها مع بعض لصارت امتن من اسلاك الحديد . فافرزت كثيراً من هذه الخيوط ولفت بيضها بها وكورت لفهُ حتى صارت البيوض كلها كرة كبيرة تحيط بها خيوط صفراء كالزغب الرامي او كريش النعام . ولما تمّ لها ذلك حملت هذه الكرة بين فكيها وخرجت من بيتها قاصدة ان تصعد بها الى مكان عالٍ لا يصل اليهِ ماء النهر اذا فاض في الشتاء . وبعد تعب كثير وجهد عنيف وصلت الى مكان عالٍ ووضعت بيوضها في ثقب غائر بين الصخور ثم عادت الى بيتها على ضفة النهر . ولو رآنا احد انا واخواتي في ذلك اليوم والايام التالية لظننا يزوراً دقيقة اجتمع عليها زغب الحرير ومع ذلك لم يخلُ دقيقةً من الخطر ففي ذات يوم زارنا طائر قبيح المخبر ولو لم يكن قبيح المنظر مبرقش بالزرقة والصفرة لكي يخفي شراسة اخلاقهِ وجعل يفتش بين الشقوق والخارب ويستخرج الديدان والحشرات منها ويأكلها ولحسن حظنا كانت امنا قد اختفت في نقرة عميقة فلم يهتدِ الينا . ومرّ بنا فصل الشتاء ونحن بيضٌ ثم خرجنا من بيوضنا في الربيع ولم نخرج منها ديداناً بل خرجنا عناكب دفعةً واحدة وهذا امر يستحق الاعتبار فان الفراش والنحل والخنافس تخرج كلها ديداناً صغيرة ثم تصير زيزاناً قبل ان تبلغ درجة الكمال اما نحن فممتازات عليها كلها لاننا نخرج من البيض عناكب كاملة كما يخرج اصدقاؤنا الجنادب . خرجنا من بيوضنا ولكننا كنا صغاراً كرؤوس الدبابيس ولما خرجنا لم نستطع ان نرى الاشياء واضحة لاننا كنا محاطات باغشية رقيقة صيانةً لنا كما تصان الجواهر في اكياسها . ولقد كنتُ اول من مزّق كيسهُ وخرج منهُ فلما انجلت عيناي ذهلت عن نفسي بما رأيتهُ حولي من اتساع الوادي الذي كنا فيهِ وكبر كل ما حولي بالنسبة اليّ فكنت ارى النبتة الصغيرة فاحسبها شجرة كبيرة لكنني شغلت عن ذلك حالاً

بما رأيتهُ حولي من كثرة اخواتي اللواتي خرجن من بيوضهن مثلي وبينما انا انظر اليهن سمعت صوتاً يخاطبنا بلهجة الآمر الناهي فالتفتُّ واذا المتكلم عنكبوت كبيرة جالسة في باب بيتها وهي امنا فاصغينا اليها فقصت علينا خبر ما اصابها من العناء بسببنا اما انا فلم يذهلني خبرها قدر ما اذهلني شيء رأيتهُ تحتها وهو كأنهُ عنكبوت ميتة فلما اتمت حديثها قلت لها ما هذا الذي اراهُ تحت اقدامك يا اماه

فقالت هذا ابوك يا ولدي

فقلت ولكنني اراهُ ميتاً لاجراك به

فتبسمت وقالت نعم هو ميت فقد انقضت ايام الافراح ولم يعد لي به ارب فقتلتهُ ومصصت دمهُ ولم يبقَ منهُ الاَّ جلدهُ وسأجعلهُ فراشاً لي وهو فراش وثير في ليلة ندية مثل هذه

فقلت لها هل اتزوج متى كبرت وآكل زوجي

فقالت لا لانك انت ذكر يا ولدي وسأكلك زوجتك كما اكلتُ انا اباك . ولا تدنُ مني الآن لاني احياناً آكل اولادي ايضاً

هذا اول نبإٍ سمعتهُ في حياتي فما اتعس هذه الحياة هل تتصور حياةً اتعس منها

فقلت لهُ بعد ان عرفت انهُ ذكر الآن عرفت لماذا انت خائف كاسف البال ولكن لك اسوة بنا فكم من رجل منا أكلتهُ زوجتهُ

فقال ألا تريد ان تسمع بقية قصتي

فقلت بلى هات ما عندك

فقال حالما ابأتنا امي انها تأكل اولادها اطلقت ارجلي للريح وهربت من وجهها نازلاً نحو النهر حتى وصلت الى مائهِ فوجدت انني استطيع ان امشي على الماء كما امشي على اليابسة فسررت بذلك جداً

فقلت لهُ هذا امر لم اكن اعلمهُ

فقال انك لا تعلم مقدار ما نستطيعهُ اذا اضطررنا اليهِ . نعم ليس كل العناكب تستطيع ذلك ولكن بعضها يستطيعهُ وانا منهم ومن انسبائنا نوع يغوص في الماء ويسكن في قناعة من الهواء ونوع يثب على الارض مثل القنفر ولا غرابة في مشينا على الماء فان بيننا وبين السراطين نسباً ولو كان بعيداً

فقلت لهُ اصبت فانك تشبه السرطان في شكلك

فقال نعم ولكن السرطان لا يكتفي بثماني ارجل مثلنا بل لهُ عشر ارجل ولماذا تقطع عليَّ الحديث دعني اتم قصتي . لما رأيت اني امشي على وجه الماء بادرت الى اقرب قصباء واخذت السيخ بيتاً لنفسي لكي اجعلهُ مصيدةً للذبان وقبل ان اتممتهُ مشيت على قصبة فوجدت عليها حشرات صغيرة خضراء اللون خالية من الاجنحة فقبضت على واحدة منها والتهمتها فاستطبتها فجعلت التهم الواحدة بعد الاخرى حتى انتفخ بطني وشعرت كأنهُ كاد يتشق

فقلت لهُ كيف كنت تلتهمها اكنت تبلعها بلعاً

فقال كلاَّ بل كنت اشق ظهرها من بين كتفيها وامتص دمها فلا يبقى في جسمها شيئاً غير جلدها . ولما شبعت عدت الى بناء بيتي فاتممتهُ وجلست فيهِ اترقَّب وقوع الذباب فوقع فيهِ ذباب كثير فاكلت وسمنت جداً حتى كنت اضطر ان اخلع جلدي مراراً لانهُ لم يعد يسعني وكثيراً ما كانت تنقطع يد او رجل مني وقت خلعهِ

فقلت كيف ذلك اوَ لم يكن قطعها مؤلماً حتى تتكلم عنهُ بدم بارد

فقال بلى كنت اتألم نوعاً ولكن نحن العناكب لا نتألم مثلكم ولا مثل الديدان فاذا انقطعت رجل من ارجل الدودة ماتت حتماً واما نحن العناكب فاذا قطعت رجل من ارجلنا نبتت لنا رجل اخرى بدلاً منها وقد قطعت اثنتان من ارجلي فنبتت لي غيرها . ولا داعي للاطالة في تاريخ حياتي عند ذلك النهر فاوجزهُ واقص عليك قصة غيَّرت مجرى اموري . كنت ذات يوم جالساً في بيتي اتردد على بابهِ داخلاً خارجاً لعلي ألقت اليَّ ذبابة كبيرة واقفة على قصبة امامي وبينما انا انظر اليها واتأمل جناحيها اذا بالجناحين سقطا عن بدنها بغتةً واذا بتلك الذبابة قد صارت بعد وقوع جناحيها نملة كبيرة كاقبح ما يكون من النمل

فقلت لهُ الاَّ تعلم ان ملكات النمل يرمين اجنحتهنَّ بعد زواجهنَّ

فقال كلاَّ لم اكن اعلم ذلك فوقفت مدهوشاً وقبل ان افيق من دهشتي جعلت النملة تناجي نفسها وتقول هلا هلا لقد كان الواجب عليَّ ان اعرف ان جناحيَّ يسقطان اليوم فلا ابقى هنا فوق الماء ولولا هذا القصب وامكان المشي عليهِ الى البر لقضيت نحبي . ما هذا امامي هذه عنكبوت اذاً آخذها معي الى قريتي واكلها على مهلي

وانت تعلم ما حاق بي حينئذٍ فرميت بنفسي من بيتي الى الماء واخذت اسبح بكل جهدي ولم ابعد الاَّ خطىً قليلة حتى رأيت حركة عنيفة في الماء فالتفت واذا انا بحفنة كبيرة من خنافس الماء وقد رفعت ذبانتيها وجدَّت في اثري سباحةً . ونظرت امامي اريد الهرب واذا انا بدودة كبيرة من الدود الذي يتكون منهُ زنبور البنين وعيناها كمصباحين متقدين فسددت في

وجهي مسالك الماء واليابسة ولم يبقَ امامي الاَّ الهواء فوثبت الى ورقة من ورق زنبق الماء ولجأت الى سليقة اسلافي وافرزت من مغازلي الستة التي في ذنبي ستة خيوط حريرية دقيقة فالتحمت معاً وطارت في الهواء خيطاً واحداً برَّاقاً كالبلور فتشبثت به وطرت بمجاري الرياح التي كانت تمدها حرارة الشمس وتوصل بها صعداً ثم عبث بي النسيم فحملني الى حرجة من الصنوبر وسار بي فوقها وفوق السهول المجاورة لها ورأيت في طريقي كثيرات من اخواتي راكبات بالونياتها وسائرات بين الارض والسماء ولكني رأيت طيوراً صغيرة من النوع المعروف بالسنونو تنقضُّ عليها وتخطفها فقلت ويلاهُ حتى في الهواء لا سلام من الاعداء ومن اراد السلامة لم يجدها ولو اتخذ لها نفقاً في الارض او سلَّماً في السماء . فاطلت خيطي وجعلت اهبط رويداً رويداً الى ان وقعت على بعض العشيم ولم اكد اصل اليه حتى رأيت زنبوراً كالتنين واقفاً في انتظاري . ونحن العناكب لا نخاف من الزنابير اذا كنا في بيوتنا بل نحتال عليها وننسج حولها خيوطنا حتى نمنعها من الحركة ثم نمص دمها وهي كبيرة كثيرة الغذاء فنقتات بها اياماً واما اذا رأتنا خارج بيوتنا فانها تتقدم نحونا فيهجم الزنبور على العنكبوت ويقبض عليها بفكيه ويحملها الى بيته ويأكلها دفعة واحدة ولا مأرب لي بذلك ولم تخنِ الحيلة فقطعت خيطي وارتميت في العشيم كقطعة من الحجر فوصلت الى اسفله وقد شلَّ الخوف اعصابي

وبرقت السماء وارعدت تلك الليلة وسقط بردٌ كبير وقت في الصباح واذا الريح تهب باردة والسماء مغطاة بالسحب فصغرت نفسي فيَّ وشعرت بوحدة ووحشة فصعدت على رأس الشجرة التي كنت فيها وافرزت الخيوط من مغازلي وصعدت بها الى الجو فساقتني الرياح ورمتني على ضفة النهر في المكان الذي قضيت فيه زهرة صباي . واعتدل الهواء حينئذٍ وكنت قد بلغت اشدي فاتت نفسي الى زوجة تكون معي

فقلت مالك وللزوجة وانت تعلم عاقبة امرك معها

فقال ما اهمل والحب قهَّار فتزوجت وقضينا شهر العسل والآن حمَّ القضاء

قال ذلك وهو ينظر يمنةً ويسرةً كالمتحير . وبينما هو كذلك واعضاؤه ترتجف خوفاً واذا انظر اليه مدهوشاً خرجت عنكبوت كبيرة من الغار ووثبت عليه لتحاول دفعها عنه ولكنها امسكت به وخطفت انفاسه وفي اقل من خمس دقائق تركته جلداً خاوياً . انتهى عن الانكليزية بتصرف

معجم الحيوان

(تابع ما قبلهُ)

﴿ الزُّمَّج - العَجز ﴾ Aquila chrysaetus. E. Golden eagle
F. Aigle doré, aigle fauve

نوعٌ من العقبان يعرف عند الافرنج بالعقاب الذهبية وكان العرب والعجم يصيدون به كما جاء في كثير من مؤلفاتهم ففي المخصَّص عن ابن دريد « الزُّمَّج ذكر العقبان وقيل هو جنسٌ من الطير يصاد به » وعن صاحب العين « الزُّمَّج طائر دون العقاب في قتهِ حمرة غالبة للقمة تسميهِ العجم دو يادران » (اي الاخوان) - وفي حياة الحيوان « الزُّمَّج مثال خُرَّد طائر معروف يصيد بهِ الملوك الطير واهل البزدرة يعدونهُ من خفاف الجوارح وذلك معروف في عينهِ وحركتهِ ... والمحمود من خلقهِ ان يكون لونهُ احمر وهو احد نوعي العقاب ... قال ابو حاتم [1] انهُ ذكر العقاب وقال الليث الزمج طائر دون العقاب حمرتهُ غالبة تسميهِ العجم دو يرادران وترجمتهُ اذا عجز عن صيدهِ اعانهُ اخوهُ على اخذهِ » - ولا يخفى ان جوارح الطير اناثها اكبر من ذكورها واقوى منها جناحاً وكان اهل البزدرة يفضلون الاناث على الذكور من البزاة والصقور والشواهين لكنهم كانوا يصيدون بذكور العقبان لان اناثها قوية جدًّا وصعبة المراس - قال السيد محمد المنكلي [2] « من استعمل العقاب بغير معرفة خشي عليهِ من العطب فانهُ مع الرجل الواحد الذي ليس معهُ رفيق عدوٌ قوي - حدثني ناصر الدين الكردي ان شخصاً من الغواة الصيادين كان معهُ عقاب فرماهُ على طريدة ففاتتهُ وكان صاحبهُ اذ ذاك فارساً فطار العقاب وانقضَّ على صاحبهِ فالقاهُ عن فرسهِ » - ولذلك قال بعضهم ان الزمج طائرٌ دون العقاب وبعض الآخر انهُ ذكر العقاب وكلا القولين قريبٌ من الصواب

(١) لابي حاتم كتابٌ في الطير لم اقف عليهِ ويظهر من الاقوال المأخوذة عنهُ في كتب اللغة انهُ من التآليف النفيسة وقد اخبرني الاستاذ الشيخ طاهر المغربي ان في الاستانة نسخةً مخطوطة منهُ فعسى ان احد بك زكي باشا ينسخهُ من هذا الكتاب مع غيرهِ من الكتب التي شرع في استنساخها هناك

(٢) كتاب نفس الفلا للسيد محمد المنكلي كتبهُ في ما يظن في القرن العاشر من التاريخ المسيحي وهو مطبوع طبعاً سقيماً في باريس وفيهِ اغلاط كثيرة اكثرها لم يرجع الى الاصل ووجد نسخة مخطوطة منهُ في المكتبة الخديوية والكتاب بحث في الصيد والبزدرة ولم ار بحثاً في هذا الموضوع في المؤلفات العربية سوى في هذا الكتاب وكتاب الاعتبار لمؤيد الدولة اسامة المعروف بابن منقذ كتبهُ في القرن الثاني عشر المسيحي

اما العجز فقد جاء عنهُ في المخصص انهُ « طائر يضرب الى الصفرة يشبه صوتهُ نباح الكلب الصغير يأخذ السخلة فيطير بها من عظمهِ ويحتمل الصبي الذي بلغ سبع سنين ونحوها ويصيد القرّدة والوبار ويأخذ عثرة الطير قال ابو حاتم اظنهُ الزمجة »

الصرّارة

Circaetus gallicus. E. Short-toed eagle
F. Aigle-busard, circaète.

نوعٌ من الجوارح يأكل الحيات ويعرف في الشام بابي صوي . قال ابو حاتم « الصرّارة عقاب عظيمة كدراء تضرب الى التوشيم ولا تصيد غير الحيات » (المخصص) . فوصف الصرّارة ينطبق على هذا النوع من العقبان وهو كثير في الشام ولعلها سميت بذلك من الصرّ أي التصويت وهو سبب تسميتها بابي صوي ايضاً عند عامة اهل الشام

الكاتب

Serpentarius Secretarius. E. Secretary bird
F. Secrétaire, serpentaire

نوعٌ من الجوارح يأكل الافاعي ويوجد في اواسط افريقية وجنوبها ويعرف في السودان بالحبيب وفي الحبشة بفرس الشيطان . اما تسميتهُ بالكاتب فعن المقتطف (مجلد ١٨ صفحة ٤٥٦) وهو تعريب الاسم الافرنجي . وقد سمي هذا الطائر في دائرة المعارف بابي صوي والحقيقة ان ابا صوي هو الطائر المذكور آنفاً فالكاتب لا يوجد في الشام بل في افريقية فقط

ومن المحتمل ان الكاتب كان معروفاً عن العرب ولعلهُ الشاهرك او الشامرك او الشاهمرج (معرب شاه مرغ بالفارسية أي ملك الطير) . وزعموا انهُ يأكل الحيات (كتاب الحيوان للجاحظ ١ : ١٤ و ٤ : ٥٥ و ٦ : ١٢٤) . وقد جاء في الدميري ان الشامرك الفتي من الدجاج . وسماهُ الافرنج بالكاتب لان ريش ذنبهِ يشبه ريشة الكاتب اذا وضعها فوق اذنهِ

عقاب البحر . الشّيطة

Haliaëtus albicilla. E. Sea-eagle.
F. Aigle de mer, orfraie, pygargue.

نوعٌ من العقبان البحرية وهي يفترسه الذئب وأكلها السمك

ولم اقف على اسم عربي لهذا الطائر لا في كتب اللغة ولا في غيرها من المؤلفات العربية فعقاب البحر تعريب الاسم اليوناني والشيطة هي الاسم الذي يعرف بهِ هذا الطائر في بعض انحاء القطر المصري واظنها في الاصل العقاب الشيطة او الشيطة الذئب واللفظة فصيحة

في محيط المحيط « طائرٌ شبيه الدناق أي اشهلها » والشهل الياض وهذا الوصف يصدق على العقاب البحرية كما يفهم من اسمها الآخر اليوناني Pygargos

قلت ان هذا الطائر يعرف بالشبيطة عند بعض المصريين وقد اخذت ذلك عن كتاب طيور مصر والشام لسائيني حيث قال ما تعريبهُ « ويسمى هذا الطائر الشبيطة عند المصريين المقيمين على شواطئ بحيرة المنزلة وبحيرة البُرُلُّس ويطلق هذا الاسم ايضاً على كاسر العظام في بعض الاماكن الاخرى (1) »

ولعلَّ هذه العقاب تُسمى العجزاء عند العرب ففي محيط المحيط « العجزاء من العقبان القصيرة الذنب والتي في ذنبها ريشة بيضاء والشديدة دابرة الكف » وفي المخصص « العقاب العجزاء اذا كان في ذنبها ريشة بيضاء او ريشتان وقيل في الشديدة الدابرة » واللفظة قريبة المعنى من pygargos اليونانية أي الابيض العجز ومنها pygargue بالفرنسوية

بعد ما نشرت مقالتي عن كاسر العظام في مقتطف يوليو من هذه السنة وقفت على مقالة للاب انستاس الكرملي في هذا الموضوع اقرب (مجلة المشرق ٣ : ٧٣٣) وهي كغيرها من مقالات الاب انستاس حافلة بالفوائد العلمية والمباحث الدقيقة لكني اخالفهُ في ترجمة كاسر العظام والمكلفة فهما Gypaetus وليس Haliaetus كما يتضح مما يأتي

اولاً — لا خلاف في ان كاسر العظام هو المسمى Phene عند اليونان و Ossifraga عند الرومان وقد اجمع المحققون من علماء الافرنج على انهما الطائر المعروف عند العلماء بيومنا باسم Gypaetus barbatus (راجع لفظة Phene في المعجمات الفرنسوية و Ossifrage في معجمات الكتاب المقدس) وقد ذكر سائيني في كتاب طيور مصر والشام اسماء هذا الطائر من زمن هوميروس الى ايامنا واوصلهُ البحث الى انهُ الطائر المعروف باسم Gypaetus barbatus عند العلماء وكاسر العظام عند العرب . ولا انكر ان كثيرين من الافرنج اطلقوا لفظة Ossifraga على عقاب البحر ايضاً لكنهُ خطأ وقد اشار الاب انستاس الى ذلك . اما اشتقاق لفظة Orfraie الفرنسوية من Ossifraga فلا نقدر ان نتخذهُ دليلاً على انهما طائر واحد فلفظة Osprey الانكليزية مشتقة منها ايضاً لكنها تطلق على طائر آخر لا هو هذا ولا هو ذاك بل المسمى Pandion haliaetus عند العلماء و Balbuzard عند الفرنسويين

(1) Description de l'Egypte, tome XXIII

ثانياً — ورد ذكر العقبان في التاريخ الطبيعي لبلينوس الروماني وقال عن عقاب البحر وكاسر العظام ما تعريبهُ «يتي عقاب البحر Haliæetus وهي حادة البصر ترفرف في السماء حتى اذا رأت سمكةً في الماء انقضت عليها وشقَّت الماء بصدرها واخذتها». ثم بعدهُ ما تعريبهُ «وذكر بعضهم نوعاً آخر من العقبان يعرف بذي الحية وهو كاسر العظام التوسكاني» (الكتاب العاشر الفقرة الثالثة). فنجد انهُ لقَّب كاسر العظام بذي الحية وهو يعرف بهذا الاسم ايضاً عند العلماء لان لهُ ما يشبه الحية ويسميهِ عرب السودان ابا ذقن كما ذكرت في مقالتي السابقة

ثالثاً — قال الاب انستاس ما نصهُ «ومن أسمائهِ كاسر العظام وكذلك معنى اسمهِ الثاني عند الفرس اي أستخوان وعند اللاتين اي Ossifraga وعند اليونان اي Ostokopos وانما دعي بهذا الاسم لانهُ من بعد ان يأكل لحم الحيوانات يحكّ بالعظام في الجوّ ثم يرمي بها على الصخر فتتكسر فيلتقيها اي يستخرج مخها» فهذا القول كلهُ صحيح لكن الطائر الذي تنطبق عليهِ هذه الصفة هو المسمى Gypaetus وليس Haliaetus او Orfraie كما تجد في اكثر كتب الحيوان الحديثة. وسآتي بشاهدين فقط واشير الى غيرها للمراجعة ففي بعض الكتب الحديثة ما تعريبهُ «وهو (اي Gypaète barbu) يصيد الحيوانات الحية في بعض الاحيان وفي غيرها يأكل لحوم الحيوانات الميتة ولهُ ميل شديد الى العظام يلقيها على الصخور فتتكسر فيأكل مخها[1]» وفي غيرهِ «ولهُ (اي Lammergeier) ميل الى العظام فيلقيها من حالق على الصخور فتتكسر ويقال انهُ يفعل ذلك ايضاً بالسلاحف في بلاد الجزائر. ويعرف في اسبانيا بكاسر العظام ويرجح انهُ كاسر العظام المذكور في الكتاب المقدس[2]». (راجع ايضاً حيوانات فلسطين ونباتاتها للفانون ترسترام ولفظة Ossifrage في موسوعات الكتاب المقدس)

اما الطائر الآخر فلا يمكن ان يفعل ذلك لانهُ يأكل الاسماك وهي لا تخ في عظامها

❖ البَازي والباز والبَازي ❖ Falco. E Falcon. F. Fauçon جنسٌ من الجوارح يصاد بهِ وهو انواع كثيرة. واللفظة فارسية يقابلها ما يشبهها في غيرها من اللغات

(1) Les Animaux Vivants du Monde, II. 36
(2) The Royal Natural History, IV. 253

مثل باك بالمصرية والقبطية و buteo بالرومية وbuse بالفرنسوية و buzzard بالانكليزية لكن الالفاظ الثلاثة الاخيرة ليست ترجمة البازي بل تطلق على طائر آخر من الجوارح سيأتي ذكره

ومما يحسن الاشارة اليه هنا البازيار والبازدار fauconnier والبزدرة fauconnerie وهي الفاظ اخذها العرب عن الفرس

﴿ الصقر ﴾ Falco sacer. E. Saker falcon F. Sacre وفيها لغات . نوع من الصقور يصاد به . ولا يخفى ان الصقر في اللغة كل طائر يصاد به من البزاة والشواهين وما اشبهها وهو Accipiter عند الرومان و Epervier عند الفرنسويين و Hawk عند الانكليز الا أن اهل البزدرة وبعض مؤلفي العرب خصوا الصقر باحد انواع البزاة . قال الدميري «والصقر احد انواع الجوارح الاربعة وهي الصقر والشاهين والعقاب والبازي » . والسيد محمد المتكلي افرد باباً خاصاً للصقور وباباً آخر للبزاة والشواهين وفضلاً عن ذلك فان اهل مصر والشام في يومنا يطلقون هذه اللفظة على طائر بعينه وهو المذكور آنفاً

اما اصل هذه اللفظة ففيه خلاف فقد جاء في الالفاظ الفارسية المعربة للسيد ادي شير ان « الصقر معرّب عن الفارسي جرّغ بتقديم العين وجعلها قافاً او عن التركي چاقر وهما بمعنى » وفي الفروق للاب هنري لامنس اليسوعي انها من Sacer باللاتينية (صفحة ١٦١)

﴿ الشُّنقار . الشَّنقار . الشَّنقور . الشُّقُر . الشُّقُور (تركية) ﴾

Hierofalco. E. Gerfalcon. F. Gerfaut

طائر من الجوارح وهو اعظم من الصقر واجمل منه صورة ويوجد في البلاد الشمالية

ويظهر من وصفهم له وقولهم انه يؤتى به من الصين وابلاد الشمالية انه الطائر المعروف عند العلماء بلسم Hierofalco في حياة الحيوان الكبرى ما نصه « الصقر (صوابها السنقر) قال القزويني انه من الجوارح في حجم الشاهين الا أن رجليه غليظتان جداً ولا يعيش الا في البلاد الباردة ويوجد في بلاد الترك كثيراً . وفي عجائب المخلوقات للقزويني (طبع غوتنجن ٤١٦) « سنقر طائر من جوارح الطير في حجم الشاهين الا ان رجليه غليظتان جداً قالوا انه لا يكون ببلاد الترك ولا يعيش الا في البلاد الباردة » . فتجد ان الدميري قرأ اللفظة خطأ وكتبها السقر وهي السقر ايضاً في عجائب المخلوقات طبع مصر (سنة ١٣١٩) وصوابها السنقر

كما هي في طبعة غوتنجن وكما يتضح من ورودها في محلها حسب ترتيب الحروف الهجائية . اما في الدميري فهي خطأ في الاصل وليس في النسخ وهي ليست السقرلغة في الصقر فهذه ذكرها الدميري في محلها في باب الصقر

وقد ورد ذكر السنقر في كتاب انس الملا المذكور آنفاً (صفحة ٩٨ لكن اللفظة مكتوبة الشقر خطأ في النسخة المطبوعة في باريس) قال « وثمنهُ الف دينار الى خمسمائة دينار وذلك لانهُ قليل الخروج من بلاد انكرج لقلته عندهم ولا يخرج الاَّ على سبيل الهدية للملوك »

وفي الالفاظ الفارسية المعربة للسيد ادي شير ما نصهُ « الشقار معرب شُنْقُر وهو طائر من جنس الصقر يصيد ويعمر زمناً طويلاً وهو لا يوجد الاَّ في نواحي الصين ومقبرلـ كثيراً عند الملوك وهم يهدونهُ بعضهم بعضاً (البرهان القاطع) »

ووصف السنقر في كتب الافرنج يطابق وصفهُ في كتب العرب والفرس ففي بعض مؤلفاتهم ما تعريبهُ « والسنقر Gerfalcons) لاسيما البيض منها مرغوبٌ فيها عند البزادرة وكانوا يشترونها باثمان غالية - - - - وهي وان تكن اعظم من البزاة واقوى لكنها ارد منها طبعاً ويرجح انهم كانوا يتنافسون بها لجمالها وعظم خلقها » (١)

وقد بحث كاترمير (٢) في اصل هذه الالفاظ وترجمها Gerfaut وقال انها تعربة مغولية وهي شُنقون بلغة الماشو وذكر انهم كانوا يلقبون بعض المماليك في مصر بالسنقور منهم قره سنقور وآق سنقور أي السنقور الاسود والسنقور الابيض

وفي اكثر المعجمات تجد لفظة Gerfaut او Gerfalcon مترجمة بالشاهين وهو خطأ ظاهر فالشاهين كثير الوجود في الهند وفارس والشام ومصر واما الآخر فلا يوجد الاَّ في البلاد الشمالية . وسيأتي ذكر الشواهين والبزاة على انواعها في العدد القادم ان شاء الله

الدكتور امين المعلوف

(1) The Royal Natural History. I. 173.
(2) Histoire des Mamelouks. I. 99.

مستقبل الهيئة الاجتماعية

ان من يقرأ علم الاجتماع و يشرف على مبادئه العامة لا تدحة له من التشوف الى معرفة مستقبل العمران البشري · والانسان خلق نزوعاً الى استطلاع الخفايا واستكشاف الحبايا فلا يقنع بما يقف عليه من حوادث الادوار الخالية بل يريد ان يعلم شيئاً عن مصير الانسان واذا وجد رأياً لفيلسوف من الفلاسفة عما يتعلق بالمستقبل اعتصم بذلك الرأي ولو كان واهناً وربما حسبهُ حقاً راهناً · قال سبنسر في هذا الصدد « اني لا اميل الى الرجم بالغيب والتكهن بمصير المجتمع الانساني على اني قد ارى نفعاً في علم الاجتماع اذا كان يمكننا من الحكم على الحوادث الماضية فقط ولا نستطيع ان نعلم بواسطته شيئاً عن الحوادث المستقبلة · وربما ارتاب الاكثرون في نفع هذا العلم اذا كانت آراؤهُ مقصورة على الزمان الغابر او لم يكن اتخاذهُ قبساً يستضاء به في البحث عن حالات المستقبل المظلمة · على ان العوامل التي تعمل في الهيئة الاجتماعية كثيرة وبينها مباينة عظيمة · فاليك انهُ يظهر حيناً بعد حين عوامل جديدة لم تكن منتظرة · وهذا الشاين يعترض دون التنبوء عما يطرأ على المجتمع الانساني في المستقبل · ثم ان تقدم العلم الطبيعي قد اثر كثيراً في الشوء الاجتماعي وسوف يظهر تأثيرهُ ايضاً في المستقبل · وكما تقدمت العلوم الطبيعية تقدم الصناعات البشرية وهذا التقدم يؤول الى تغيير كبير في الهيئة الاجتماعية وعدا ذلك فان انتشار العلم الصحيح بين البشر قد غير شيئاً كثيراً من افكارهم واعتقاداتهم بالمادة والقوة التي تفعل في المادة وهذا التغيير لا بد ان يفضي الى التأثير في الاديان فيرتخي الوازع الديني الذي يعد الآن اساس الالتزام الادبي وقبل ان يحل محلهُ نظام ادبي مؤسس على حقائق علمية صرفة لا مناص من حدوث هدنة تضعف فيها الآداب لضعف الوازع الديني · ومن الغريب اننا اينما نرى فئة كبيرة من البشر ترتقي في عقائدها وافكارها الدينية وهي الفئة المنورة التي تلجأ الى الاجتهاد فاننا نشاهد فئة اخرى ترجع القهقرى وتحافظ على مآخذها الدينية فيعظم بينها نفوذ الرؤساء الروحيين · وقد تعذر معرفة النتائج التي تنجم عن هذا الاختلاف · وفوق ذلك فان هنالك تفاوتاً في اساليب التربية التي تتربى بها طبائع الانسان في العصر الحاضر فمن الناس من تتربى فيهم غرائز حب القتال وسفك الدماء فينشأون على ما كان عليه الناس في عصور الهمجية يوم كانوا يغزون بعضهم بعضاً ومنهم من يعنون بتربية العواطف السامية في الانسان ومثل هؤلاء يبعثون اخيراً وجماعات كثيرة تتحمض لنفع الناس

وترقية اخلاقهم وهكذا فانك ترى حرباً ادبية بين البشر لا تعلم عقباها ولا يدرك مصيرها

ان المؤثرات التي تؤثر في حالة الانسان الاجتماعية تكيف بتكيف عيشته فان عاش منفرداً عن سائر البشر فيفعل كل شيء توقهُ اليهِ سليقتهُ ولا يؤثر فيهِ سوى محيطهِ الطبيعي وفي هذه الحالة يكون هو المسيطر الوحيد على نفسهِ واما اذا خالط الناس فيصبح عرضة لعوامل اخرى فيضطر احياناً ان يفعل افعالاً لا يهوى فعلها او يتحاشى عن امور يرغب فيها ويحدث هذا فيما اذا عاش بين جماعة معادية لجماعة اخرى فيكون هو مكرهاً ايضاً ان يعادي تلك الجماعة واذا اوعز رئيس جماعتهِ الى افرادها ان يقوموا ويحملوا على الاعداء او يغزوهم فلا مناص لهُ من مشاركتهم في حملتهم وغزوتهم واذا لم يصدع بأمر الرئيس فيعاقب بان يبعد او يعذب او يطرد طرداً من بين تلك الجماعة . وكلما كانت الكراهية شديدة بين القومين قويت شوكة الرئيس فيضطرُّ الافراد ان يخضعوا لزعيمهم خضوعاً مطلقاً لان المناوأة الدائمة بين القبيلتين تقتضي التضامن والاتحاد حتى تتمكن الواحدة من مصادمة الاخرى والتخلص من غوائل شرها وبالعكس فانهُ اذا كانت القبيلة عائشة بسلام وطمأنينة وليس لها اعداء فان الفرد في هذه الحالة يكون مستقلاً بنفسهِ اكثر منهُ في الحالة السابقة ولا يكرهُ الافراد على الاستسلام لمشيئة زعمائهم الاَّ في حوادث نادرة

والحالة التي يجب ان ينظر اليها في مستقبل الشؤون الاجتماعي هي خضوع الفرد للغير واستقلالهُ عنهُ او معرفة الحد الذي يقف عندهُ خضوعهُ لغيرهِ ويبتدئ استقلالهُ بنفسهِ وعند ما نتوخى الكلام على مستقبل الاجتماع البشري يجب اولاً ان نعرف هل الدلائل الحاضرة تدل على ان استقلال الفرد بنفسهِ سوف يزيد او انهُ سوف ينقص فاذا استدلت صولة القوة الحاكمة المسيطرة على الفرد يضعف استقلالهُ ويصبح في قبضة الغير سواء كان هذا الغير ملكاً واحداً او حكومة مؤلفة من بضعة اشخاص او جمهورية مؤلفة من رئيس وبعض الاعيان او غير ذلك

خذ مثال ذلك المانيا فقد شرعت هذه الدولة في تنظيم قوتها الجندية منذ نشأتها ولا تزال في ازدياد فهي تضرب الضرائب الفاحشة على رعاياها حتى تقدر ان تقوم بنفقات الاسلحة وتعنى بتربية ابنائها على حب القتال وتعظم هيبة حكومتها يوماً فيوماً وبذلك يتداعى استقلال الفرد ويتوسع بطش القوة الحاكمة والذي يجري في المانيا يجري تقريباً في كل بلد من البلدان

واغرب من كل ذلك هو ان الحكومات الجمهورية التي يذهب الناس الى انها محكومة

من الشعب فيها من الاستبداد وحب الاثرة ما لا يشعر عليه في الحكومات الملكية المطلقة ومن الغلط ان تقول ان البلد الدستوري يحكم نفسهُ بنفسهِ او ان الافراد يشتركون في ادارة امورهم وتسيير شؤونهم في حين نرى ان رئيس الامة في اميركا لهُ صولة اكثر من ملك انكلترا والصحيح ان احتكار السيطرة موجود في كل دولة فقد يكون ذلك في شخص واحد او يكون في بضعة اشخاص وكل ذلك يدل على ان استقلال الانسان بنفسهِ سوف يضعف في المستقبل فيصير في حالة يكون فيها تحت سلطة القوة العمومية لا يقدر ان يفعل الاَّ ما يساق اليهِ ويكون مكرهًا على التفادي مما ينهى عنهُ . وقد قال الشارعون في هذا العصر « ان الهيئة الاجتماعية ترتقي ارتقاء عظيمًا اذا اصبحت القيادة في ايادي القليلين العاقلين فهؤلاء يقرون على اجراء النافع للسواد الاعظم وهؤلاء يخضعون لقرارات اولئك ويستسلمون الى مشيئتهم لانهم اعلم بحاجتهم وادرى بمطالبهم »

ومن المؤكد ان القوة العمومية تبذل كل وسعها في سبيل اضعاف الفرد فمن الوسائل التي تتخذها الآن لاضعافهِ نظام العسكرية القهري فانها تحتم على كل فرد ان ينتظم في سلك العسكرية وهذا من شأنهِ ان يقلل من حرية الفرد واستقلالهِ بنفسهِ وفي الامة الحربية يكون الخضوع الاعمى عامًّا بين جميع المقاتلة او العساكر فان كل فرد من افيئة مقطر ان يخضع لمن هو اعلى منهُ رتبة والامة كلها تخضع للجيش لانها مجبورة ان تقدم لهُ ما يحتاج اليهِ حتى يذود عن حوزتها ويدرأ عنها مطامع الامم الحربية والدول القوية . والخضوع واجب بين جميع افراد الحكومة الملكية لان كل موظف يخضع لمن هو اعلى منهُ

والخضوع صفة لازمة لازبة بين افراد الامة كلهم . واذا تقلص ظل الحرب فينشأ في الفرد ميل عظيم الى حب الاستقلال واستخدام مواهبهِ وقواهُ في سبيل منفعتهِ الخاصة ويجعل دأبهُ مقاومة النظام العسكري القهري

وعلى الجملة فانهُ كلما عظمت حرية الفرد ضعف ذلك النظام واصبح المرء ملك نفسهِ ومتولي امرهِ . وما اعظم الفرق بين الحالتين في الحالة الاولى تكون الطاعة العمياء والاخلاص للقوة العمومية من اعظم الفضائل والعصيان نقيصة لا تغتفر فالتاريخ لا يزال كلما ذكر فلسون يثني عليهِ ويطريهِ لانهُ اهلك نفسهُ في خدمة القوة العمومية او انهُ اطاعها طاعة متناهية . ويندد بالرجال الذين خانوا دولتهم وفضحوا امرها او كشفوا اسرارها . وكثيرًا ما كان الملوك يعذبون القائد الخائن في القرون الاولى اشد العذاب فقد قيل ان فورش الفارسي كان يأتي بالخائن وينقب جسمهُ ثقوبًا متعددة ثم يذيب الرصاص ويسكبهُ في تلك الثقوب وبعد ذلك

يربط اطرافهُ الاربعة الى افراس لا تزال تجاذبهُ حتى تقطع اوصالهُ . ومعاقبة الخائنين لا تزال شديدة حتى في هذا العصر على انهُ اذا ارتقت الهيئة الاجتماعية يشتدُّ الفرد يدرك معنى الاستقلال الحقيقي ويصير يحسب الخضوع المطلق لارادة الغير من اصوإ السيئات والتمسك بالحرية الشخصية والاستقلال من افضل الحسنات

ومن اعظم الادلة على تضاؤل قوة الفرد ازاء القوة العمومية انتشار التعليم الاكراهي بين الامم الراقية فان الحكومة هي التي تسيطر على ابناء الامة وتربيهم كيف شاءت واذا تجرأ الوالدون على مقاومة القوانين العمومية فانهم يعاقبون اشد العقاب ثم ان القوة العمومية تتداخل في شؤون الافراد الخصوصية فتقول للفرد مثلاً انت لست حرًّا ان تنفق مواردك كلها كما تريد بل ينبغي لك ان تعطي شيئاً منها لتتمكن به من نفعك او نفع غيرك وان الفرد الذي يقال لهُ هذا القول او يعامل هذه المعاملة ليس خليقاً ان يدعى حرًّا او مستقلاً . وكلما عظم امر القوة العمومية واشتدت صولتها يتداعى استقلال الفرد وتوهن حريتهُ الشخصية

ومن المعلوم ان الحوادث الاجتماعية شأن غيرها من حوادث الكون يزداد تأثيرها ويشتد فعلها اذا لم تلقَ مقاومة ومصادرة من الخارج فاذا لم يعترض القوة العمومية مناوئ فلا ريب انها تكون في المستقبل قوة هائلة وتكون قوة الافراد ازاءها ضعيفة واهنة لا يؤبه لها . على انهُ لا يظهر من القرائن الحاضرة ان الافراد سوف يتعاونون ويتحدون لمقاومة القوة العمومية واذا كان ثمة اتحاد او تظاهر فهو ضعيف جدًّا ولن يؤثر في مصير الهيئة الاجتماعية واذا تأتى عنهُ بعض النتائج فلا تكون ذات شأن عظيم وكلما كثرت المشروعات التي تتولى شؤونها الحكومة وانتقلت الاعمال من ايادي الافراد والشركات الى ايادي الهيئة الحاكمة ضعفت قوة الفرد امام قوة الحكومة وصار العمال والصناع وسائر الافراد في قبضة الحكومة لا يستطيعون ان يفعلوا شيئاً من تلقاء انفسهم وربما اصبحوا غير قادرين على تحصيل معاشهم الاَّ اذا اندمجوا في سلك الاستخدام العمومي لان الاعمال الاستقلالية تكون عندئذٍ قد قضي عليها فتنشأ حكومة مستبدة بمقاليد الشؤون الاجتماعية تحتم على الفرد ان يفعل فقط ما يؤمر بهِ ويتجافى عما لا يراد على عملهِ

واذا وصلت الهيئة الاجتماعية الى هذه الحالة واصبحت القوة الحاكمة تتصرف بامور الفرد كيف تشاء فقد الفرد حريتهُ التي يتمتع بها الآن بعض التمتع وقضي على كل الاعمال الحرة التي يديرها الفرد في هذا الزمان وما ذلك الاَّ لان الانسان غير حقيق بهذه الحرية التي يستولي عليها ولانهُ غير قادر على المحافظة عليها بالطرق اللازمة

وقد قلنا ان الحرب قائمة على الدوام بين القوة العمومية وبين الفرد فالاولى تنزع الى احتكار جميع الاعمال العمومية واذا لم يتحد الافراد معاً ويقفوا في وجهها لكي يدافعوا عن استقلالهم في اعمالهم فمن المرجح فوزها في المنتهى والحال الحاضرة تدل على ان المنافسة والاحقاد سائدة على الافراد فكل واحد منهم يعمل لما يظن منهُ خيراً لهُ ولا يهمهُ خير الغير والشركات ايضاً تنافس وتباغض بعضها بعضاً وكل واحدة منهن تنصب الاحابيل لايقاع الاخرى بها على انهنَّ يغفلن عن ان هذه المناوأة تضعف شأنهنَّ وتعوقهن عن مصادرة القوة العمومية التي سوف تكون الخطر الاكبر على استقلال الفرد في المستقبل . وفوق ذلك فان الشركة التي تضع نصب عينها مقاومة الشركات الاخرى قلَّ ان تنجح او تبلغ مأربها واذا كانت هذه حالة الافراد من الاضغان والمقاومات فلا يخلق لهم حرية في اعمالهم واحرى بهم ان يصيروا تحت امرة حكومة مستبدة تسترقهم وتستعبدهم وتنشئ لهم نظاماً يعملون بموجبهِ فاذا ظهر ضعفهُ تنشئ نظاماً آخر بشرط ان تبقى لها السيطرة المطلقة على اعمال الافراد

وربما زعم البعض ان هذا القول مبالغ فيهِ لانهُ يرى ان معظم الامم سائر الى الحرية وخصوصاً في هذه الاوقات وان استبداد الحكومات يقل رويداً رويداً على ان من امعن فكرتهُ يرى ان الامة اذا حصلت على حرية القول والفعل فتنتهي بذلك الى حدٍّ معلوم ثم يطرأ عليها ردُّ فعل فتبدأ ترجع القهقرى وهذا الانفعال اوردَّ الفعل لا بدَّ منهُ في كل حال وقد بلغت حرية الفرد مبلغاً عظيماً في القرن المنصرم وخصوصاً في انكلترا فاطلقت لكل فرد من افراد الامة واصبح الرجل يقتدر ان يفعل معها شاء على انها لما افضت الى درجة معينة ابتدأت نقطة الانقلاب وجعلت الحرية تقل فنشأت شرائع جديدة قصد منها الرجوع الى الاصل او اعادة هيبة الحكومة الى ما كانت عليهِ في دور الاستبداد

قال الاستاذ هكسلي في هذا الصدد « اذا تغلبت القوة العمومية على الافراد واستحوذت على جميع اعمالهم فانهُ يحدث واحد من امرين فاما يقوم الافراد قومة واحدة في وجه الحكومة وتكون ثورتهم هذه ثورة اجتماعية صرفة يتوخون منها ارجاع حقوقهم المغصوبة وحريتهم المسلوبة فيستبطون الدولة الحاكمة ويحصل عقيب ذلك رد فعل يفضي الى تسلط القوة العسكرية فتتولى شؤون الامة وتحكم في امرها بالاستبداد المتناهي واما يثور الافراد وينجحون في ثورتهم ولا تنجح الاَّ الامة التي ما زال ينبض في عروقها دم الانفة وعزة النفس وينشئون حكومة دستورية بكل ما في الكلمة من المعنى اي انها تكون في يد الشعب وتضع قبلة ابصارها منفعة الافراد وهذا اعظم مستقبل يرجى للامم الحية في زمن بعيد جداً

ثم ان البشر يتشدون الكمال في جميع ادوار العمران وكلما نشأت هيئة اجتماعية مغايرة للارتقاء الحقيقي فيقوم صنف من الناس يحاولون دأبهم مقاومة تلك الهيئة على قدر الطاقة ولم يخل الاجتماع البشري من امثال هؤلاء الاصناف في جميع ادواره ولا بدَّ من ظهور هذه الفئة في المستقبل كما ظهرت في الماضي فتتعهد اصلاح الفساد الذي سوف يطرأ على العمران والمرجح انها تنجح على تمادي الزمان في ايجاد هيئة اجتماعية موافقة للرقي كل الموافقة وعندئذٍ ينظر كثيراً في ارجاع حرية الافراد واستقلالهم واذا كان ناموس النشوء قد فعل في الادوار المتقدمة واوصل الحياة الى حالتها الحاضرة وساعد الاحياء على مصادرة الطوارىء الطبيعية التي كثيراً ما طرأت عليهم فهو سوف يفعل ايضاً في المستقبل ويهتدي بيد البشر الى تكييف طبائعهم واعمالهم طبقاً لما تقتضيه منهم احوال الهيئة الاجتماعية المنتظرة فيجمعون كلمتهم ويتلون شعثهم حتى يتمكنوا من الدفاع عن حقوقهم والذب عن حياضهم

وهنا لا بد من ايراد كلمة عن النشوء وما يراد منهُ من الوجهة الطبيعية . ان النشوء لا يعني الترقي بل هو ظهور احد الاحياء بصورة قوية اصلح من غيرها لمقاومة العوامل الطبيعية فيكون هذا الحي اقدر من سائر الاحياء على الحياة ويترقى بانحطاطها وامتصاصها وكلما توي تضعف ولا تلبث طويلاً حتى تنقرض طبقاً لناموس « بقاء الاصلح » ثم ان النشوء الحيوي ينطبق على النشوء الاجتماعي فكما نشأ شعب من الشعوب وعظم امرهُ فلا بد من تدلي شعب آخر . والجامعة التي تترقى تضعف غيرها فيأتي افراد الجامعة المترقية ويستقرُّون في اقليم مناسب لصحتهم ويطردون اهل ذلك الاقليم الى اقليم سيء فتضعف بنية هؤلاء وينشأ منهم جماعات ضعيفة سقيمة . وفضلاً عن ذلك فانهُ تحدث منافسات كثيرة بين الامم القوية وهذه المنافسات تفضي الى تفوق بعضها على بعض وانحطاط عدد منها فالمتفوقة تنحصر في البقاع الخصيبة المعتدلة والمنحطة تهيم الى الاصقاع الباردة القاحلة وتبتدئ الشعوب المتفوقة بالتآلف والتضامن فلا يمضي زمن حتى ترى الامم الراقية متجمعة وهذا التجمع او الائتلاف ينفع العمران كثيراً

والمرجح انهُ سوف تتألف بين الامم العليا محالفة عامة تؤلف بينهن و يكون من انفع افعالها انها تقضي على الحرب التي تحسب اعظم مضرة للتمدن الحاضر وقد التفت الدول الى ذلك في هذا العصر فعقدت المؤتمرات الدولية وقصدت ان تحسم بها كل خلاف او نزاع يقوم بينهن على ان الزمن الذي تنقضي فيهِ الحروب لم يحن بعدُ ولا شك ان الحروب من اعظم المعاثر التي تصيب الحضارة العصرية وهي تهيج في النفوس طبائع الهمجية وترجع البشر الى حالتهم الوحشية الاولى

ثم انهُ اذا تشكلت هذه المخالفة العمومية بين الامم ترقت الهيئة الاجتماعية ترقياً محسوساً وقطعت خطوات واسعة في سبيل التقدم الحقيقي وحصل التلاؤم بين نظام المجتمع وبين احوال الافراد او بين مطالب الفرد الخصوصية وحاجاتهِ وبين المحيط ولا تعود قوانين الاجتماع تغاير منافع الاشخاص . واذا قصد الفرد ان يحيا حياة سعيدة في الوقت الحاضر وجب عليهِ ان يكيف مطالبهُ واحوالهُ طبقاً لنظام الهيئة الاجتماعية الحالية على ان ما فيها من الاختلافات وتشعب الاغراض والغايات والمنافسات الكثيرة يمنعهُ من الملاءمة بين نظامها وبين مطالبهِ الخاصة غير انهُ اذا شاءت تلك المخالفة فلا تبقى تلك العوائق ويصبح الفرد في حالة يرتاح فيها الى النظمة المجتمع ويسهل عليهِ الانقياد لها والعيشة طبقاً لمطالبها لانها لا تقتضيهُ الاَّ ما يسهل عليهِ اجراؤهُ ولا تتداخل في حريتهِ الشخصية الاَّ اذا حدتهُ نفسهُ بالاقتراء على الغير والائتلاف الموماً اليهِ يعلّم الفرد انهُ عضو من اعضاء المجتمع الانساني وينبغي لهُ ان يتعاون مع سائر الاعضاء حتى تتم سعادة الجميع . واذا ادرك الافراد هذا الادراك ماتت من قلوبهم الغرائز الوحشية التي تحدو بالمرء الى الاعتداء على غيرهِ وترقت العواطف السامية التي تبعث الانسان على خدمة المصلحة العامة وزالت ايضاً جميع العقبات التي يضعها الآن ذوو المآرب الذاتية في سبيل سعادة الافراد فيبرز عندئذٍ الرجل الحقيقي الى ميدان الحياة وهو الذي يخدم اوطارهُ ويخدم ايضاً اوطار الهيئة الاجتماعية ولا يجد تناقضاً بين المنفعة الخاصة وبين المنفعة العامة لانهُ بخدمة غيرهِ يخدم نفسهُ ويخدم غيرهُ . ونرى ما يشبهُ ذلك في اعضاء الجسم الانساني . ومن الناس من تنحوا عن سائر البشر والقوا عن كواهلهم اعباء المطالب الاجتماعية الحاضرة فارتقت اخلاقهم ارتقاء مبيناً وعاشوا عيشة كاملة على حدّ ما تقدم وهذا نفس ما يرجى حدوثهُ في المستقبل عند ما يحصل تآلف الامم الذي اشرنا اليهِ فسعى عندئذٍ في انشاء المجالس التحكيمية التي بدئ بمثلها في الوقت الحاضر وتسقد قيادتها لاصحاب الاخلاق العالية الذين يعرفون بالنزاهة والصدق وتكون تلك الذريعة من اعظم الذرائع الموصلة الى السعادة العالية المنشودة

دمشق خليل يعقوب الخوري

حمى البول الاسود

BLACKWATER FEVER.

قلَّ من بحث من اطباء الشرق في هذا المرض الخبيث مع كثرة انتشاره في كثير من البلاد الحارة وبالاخص في اواسط افريقية فانهُ منتشرٌ في بعض بلدان السودان مثل لجر الغزال والصيرص وقد شاهدت المصابين به هناك واصيب به ونجوتُ منهُ فرأيت ان اراقي قراء المقتطف بما يأتي كطبيب ومجرب

ثبت بعد البحث والتحقيق انهُ ليس لهذا المرض مكروب مخصص بهِ ولا هو مرض قائم بنفسهِ مثل الكوليرا والحمى التيفوئيدية بل هو نوعٌ من انواع الحمى الملارية الخبيثة وما يسبب هذه يسبب ذاك اي ان مكروب الملارية كاف لان يسبب الحمى السوداء او حمَّى البول الاسود فان كل من سكن في بلادٍ موبوءة بالحمى الملارية وبقي فيها مدة تزيد عن السنة وأصيب في خلالها بالملاريا مراراً عديدة اصبح معرضاً للاصابة بالحمى السوداء فتي بحر الغزال قلَّ ان أصيب بها القادمون اليهِ حديثاً بل ان اكثر من أصيب بها كان قد اقام مدة لا تنقص عن السنة وكان قد أصيب مراراً كثيرة بالحمى الملارية

واول من ذكر هذه الحمى وبحث في اسبابها واعراضها الاطباء الافرنسيون المقيمون في مقاطعة نوسي Nossibé الواقعة على شاطيء مدغشكر الشمالي الشرقي ثم ظهر بعد ذلك انها منتشرة ايضاً في اواسط افريقية مثل اوغندا ومستعمرة الكنغو الحرة ومستعمرة الكنغو الافرنسية وفي مديريتي بحر الغزال وسنار من اعمال السودان كما مرَّ ثم اتضح انها تعمّ اكثر البلدان الحارة مثل اميركا الجنوبية والهند الغربية وجنوبي الصين وأسام وتوجد في بعض مقاطعات الهند الانكليزية وفي غيرها ايضاً من البلدان الحارة وقد شوهد بعض الاصابات بها في بلاد اليونان وبلاد ايطاليا وسردينا وفي فلسطين وقد عالجت مريضاً مصاباً بها في الفريش كان قادماً من يافا

والاصابة بهذا المرض كالاصابة بالحمى الملارية من حيث انهُ يعاود من أصيب بهِ فقد ذكر الدكتور ماتسون خمس حوادث شاهدها في بريطانيا العظمى في اناس سكنوا المناطق الحارة وأصيبوا بالملارية ومنهم من كان قد اصيب بالحمى السوداء قبل عودته الى وطنهِ ثم اصيب بها ثانية ومنهم من بقي ثلاثة اشهر فقط في اواسط افريقية ثم أصيب بها بعد رجوعهِ الى وطنهِ

واعرف ضابطاً انكليزياً كان قد اصيب بها وهو في شرقي افريقية ثم عاودته وقضت عليه بعد وصوله الى الرصيرص بزمن ليس بطويل وآخر كان قد اصيب بالملاريا وهو في جنوبي السودان ثم عاد الى بلاده استشفاء منها فاصابته الحمى السوداء في مرسيليا وهو على طريقه وقضت عليه هناك . ويندر ان يصاب بها اناس ممن الفوا البلاد الموبوءة بالملاريا في اول سنة من اقامتهم فيها . وقد ظهر من التقارير التي وضعتها حكومة الكنغو الحرة عن هذه الحمى ان اكثر الاصابات حصلت في السنة الثالثة من اقامة موظفيها في تلك البلاد غير انه قد شوهد قليل من الحوادث في من اقام ثلاثة اشهر فقط في تلك الاصقاع . ويظهر ان هذه الحمى تصيب غالباً من انهكته الحمى الملارية وتشبع جسمه من مكروبها . ومعظم من يصاب بها البيض واما الزنوج اهالي تلك البلاد فيندر ان يصابوا بها مع انهم معرضون للحمى الملارية ويصابون بها كثيراً . وقد ذكر ايلسمون وآيلس وغيرهما من الاطباء الذين خصصوا اوقاتهم لدرس هذه العلة بعض اصابات في الزنوج ومات بها كثير من العمال الصينيين المشتغلين في سكة حديد الكنغو

الاسباب . ليس لهذا المرض مكروب خاص كما تقدم بل هو نوع من الحمى الملارية الخبيثة فيصح القول بان مكروب الملارية (البلازموديم ملاريا) هو المسبب له

الاعراض . قلما تختلف اعراض الحادثة الواحدة عن الاعراض الاخرى بل ان معظم الحوادث متشابهة ولو تفاوتت في الشدة والنتيجة . وقد لا يشعر الواحد بمجيئها اذ ليس لها علامات سابقة مميزة بل قد تفاجئه على حين غفلة وهو يحسب انه مصاب بدور اعتيادي . واول ما يشعر به المريض قشعريرة شديدة قد تدوم ساعة من الزمن ثم تعقبها حرارة ترتفع الى ١٠٥ او ١٠٦ بميزان فهرنهيت ويصاب المريض باوجاع شديدة في الظهر والكبد والمثانة ويشعر بميل غريب وارتياح شديد الى افراز البول وما اشد خوفه ودهشته اذ يرى ان بوله صار ذا لون اسود قاتم ويصاب بتقيء اصفر شديد وباسهال مفرط ثم يصفر ياض عينيه وبشرته اصفراراً شديداً وبعد بضع ساعات من ارتفاع الحرارة تهبط الى الدرجة الطبيعية ويتغير لون البول من اسود قاتم الى احمر فاتح وربما عاد الى لونه الطبيعي وفي اليوم الثاني تعود الحمى وجميع الاعراض بشدتها الاولى وربما كانت اشد من الاول ويبقى العليل بين هبوط وارتفاع في الحرارة الى ان تنهك قواه ويضعف كثيراً وفي الاحوال الخفيفة ينقطع افراز الدم من البول في اليوم الثالث وتهبط الحرارة وينقطع القيء ويدخل العليل في دور النقاهة الى ان يشفى تماماً وهو النادر واما في الحوادث الثقيلة فتبقى الحرارة مرتفعة ويستمر البول على اللون الاسود وتشتد الاعراض فيفقد العليل صوابه الى ان يقضي نحبه في نحو

اليوم الرابع من ظهور الاعراض المذكورة . وجميع الحوادث الثقيلة التي لا تقف الاعراض فيها في اليوم الثالث تنتهي على الغالب بالموت للاسباب الآتية

(١) اما ان تبقى الحمى مرتفعة جدًّا فيصاب المريض بالتهابات دماغية واحتقان في شرايين المخ

(٢) قد يبقى القزف الدموي فيموت المريض بالاغماء كما لو اصابهُ نزف دموي

(٣) قد يصاب المريض بالتهاب كلوي حاد فينسمم دمهُ

وقد ذكر الدكتور مانسون حادثة قضى فيها العليل نحبهُ بعد ثلاثة اسابيع من تاريخ هبوط الحمى وزوال الاعراض من التهاب بالكبد وقيء دموي وشهقة مستمرة

حالة البول . اذا فحص البول وجد حامضاً (أي غير قلوي) واذا ترك في وعاء رسب منهُ راسبٌ ذو لون قاتم تعلوهُ طبقة سائل خمري اللون واذا فحص الراسب بالمكرسكوب وجد فيهِ كثير من قشور الهيالين والهيموغلوبين غير ان وجود كريات الدم في البول نادر جدًّا وهذا ما يفرق الحمى السوداء عن النزف البولي

ومن الغريب ان اكثر الذين اصيبوا بالحمى السوداء وسلموا منها يشفون من حمى الملاريا ايضاً فكأن الدم الذي افرز حمل معهُ ميكروبات الملاريا فنقى الجسم منها

المعالجة . في اول اكتشاف هذا المرض كان اكثر الاطباء يعالجونهُ بالملح الكينا بمقادير كبيرة تبلغ ١٢٠ قمحة في اليوم اعتقاداً منهم ان الكينا الدواء الوحيد الفعال ضد الملاريا ثم اتضح من التجارب العديدة التي اجراها كوخ ويلس ان الكينا تزيد شدة الاعراض وقد زاد على ذلك ان كثرة استعمال الكينا تعرض الجسم للحمى السوداء وذلك لان الكينا تحمض الهيموغلوبين غير ثابت في كريات الدم الحمراء فيسهل خروجهُ منها ومن المعلوم ان الدم الموجود في بول المصابين بالحمى السوداء هو الهيموغلوبين وليس الكريات الحمراء فكأن الكينا تساعد الداء عوضاً ان تكون هي الدواء . وعليهِ فاول ما يجب عملهُ في معالجة هذا المرض هو ابطال الكينا حالاً وعدم استعمالها في مدته

الكالومل . قد جرب الكالومل بجرع كبيرة من ٢٠ — ٣٠ قمحة فاتى ببعض الفائدة ولكنهُ قد سبب التهابات في المعدة

الحامض النتيك . يعطى منهُ ١٥ قمحة مخففاً بماء كثير كل ساعتين جرعة على اربع مرات وتعاد الجرعة في اليوم الثالث والسادس

سليسلات الصودا . قد جربت كثيراً في اثريتية فاتت بفوائد حسنة . وافضل علاج

لهذا الداء الذي استعمل كثيراً فجاء بفوائد أكيدة هو

بي كربونات الصودا	نصف جرام	جرعة كل ثلاث ساعات
سايل سليلاتي بسمث	١٠ جرام	
ماء كلورفورم	٣٠ جرام	

ولا يستصوب اعطاء العليل منبهات مثل الكنياك لانهُ يضر بهِ كثيراً في الكليتين واما الغذاء فيكون الحليب مضافاً اليهِ قليل من ماء الصودا ويجوز استعمال الشاي ايضاً

الوقاية . ننصح لجميع الذين يذهبون الى البلاد الموبوءة بالحمى الملارية ان يأخذوا احد املاح الكينا مثل كبريتات الكينا عشر قمحات في صباح ومساء اليوم الاول والخامس عشر من كل شهر وهذه الطريقة تفضل كثيراً على اخذ هذا الدواء بجرع صغيرة في كل يوم باستمرار وعند ظهور اول دلائل الحمى السوداء يجب ابطال اخذ الكينا حالاً وان يشرب المريض ماء الشعير فاتراً وان لا يتناول غذاء مخففاً بالصودا وان يجتنب التعرض للهواء الرطب ويحسن وضع الثلج الحارة فوق المثانة والكبد وفي أي حال من الاحوال لا يجوز استعمال محفضات الحرارة مثل الانتبرين والفناسين والاتيفرين لان استعمالها لا يخلو من الضرر العظيم

الدكتور نسيب تبشراني

اللغة العربية والتعريب

فرغ الناس من مدح اللغة العربية فلا حاجة بي الى وصفها بما هو دون قدرها . وانما اريد ان اجمل في هذه السطور بعض ما ينبغي الانتباه اليهِ من حاجتها الى مزيد العناية . ولا يتم ذلك باجتهاد رجل او رجلين بل بانقطاع جماعة من علمائها الى الاشتغال بها . فليس يكفي اللغة ان يتهافت الناس على تأليف كتب النحو والصرف وفنون البلاغة وهي كثيرة مأخوذة بعضها من بعض وقصارى الهمة الآن ان يشترك اولئك الفضلاء في وضع قاموس يكون كثير الكلمات قليل الشرح كافي البيان مع زيادة ما ينقصها من المفردات التي ليست موجودة فيها مع شدة الحاجة الى استعمالها . ويمكن ان يكون ذلك اما بقبول الكلمات الاجنبية الدالة عليها واما باستعراب كلمات من الفارسية تفيد مفادها . وكما كانت اللغات الاوربية تستعير من اللغة اللاتينية واليونانية كانت اللغة العربية ايضاً تستعير من اللغة الفارسية . فهي للعربية اقرب وبها امثل

فان اللغة العربية في حاضرها ليست بكافية لحاجات المتكلمين بها . واما ان الكلام من شعراء وكتاب يعانون الصعب في تأليف كلامهم . يتبين ذلك في كتبهم وقصائدهم من صرف فيها بعض التأمل . وما هذا بذنب اللغة ولا ذنب الكاتبين بها وانما يؤخذ بجريرته من اهملوا امرها ولم يصلحوا شأنها من ائمة اللغة . وذكر ان صاحب السماحة السيد توفيق البكري كان الف مجمعاً لغوياً من نحو خمسين عاماً وكان ذلك في سنة ١٨٩١ على ما اظن . فوضع هذا المجمع بعض كلمات لم تتجاوز العشرين مثل (البطاقة) لورقة الزيارة و (المذرة) للمحامي . فانتقد ما اختاره بعض الناس ولم يسمع بعد ذلك شيء عن هذا المجمع

اجل يمكن للشعراء والكتاب ان يضعوا كلمات للاشياء التي لا تعريب لها ولكن هذا يفتح للناس باب التصرف باللغة فيذهب كل فيها مذهباً ومتى عمّ الاجتهاد لم يؤمن الخطأ . وهل يرضى كل الناس بكلمة رضيها احدهم كلا بل يظل مكان النقص كما كان

رأيت قصصاً ترجمها الى العربية صديقي المرحوم الشيخ نجيب الحداد . فاذا هي لا تشبه شيئاً ولا يصح ان يقال في مثلها ما يقال في كتب البلغاء . وما كان ذلك عجزاً من الاديب المرحوم ولا جهلاً . ومثله لا يتهم في اديبه ولا يطعن على فضله . ولو قيل لي في ترجمة واحدة من تلك القصص لجاء ما اكتبه دون ما جرى به قلم صديقي النجيب . وما ذاك الا لوقوف اللغة العربية عند ما كانت عليه من منذ الف وخمسمائة عام . وانما وضع اللغات واضعوها لتكفي بحاجاتهم . وحاجات السلف لم تتعد ما يتذل من الاشياء . ولو كانت هذه البواخر واسلاك البرق والتليفونات وغيرها موجودة في ايامهم لوضعوا لها كلمات تدل عليها

ورجال القلم في هذا الزمان على مذهبين احدهما تقليد القدماء في كلامهم واخذ الجمل منهم كما قالوا . ومثلهم كثير ممن تسمع منهم ما يقولون مثل : سارت بذكره الركبان وعقدت عليه الخناصر وشب عن الطوق وما اشبه ذلك . والمذهب الثاني جعل الكتابة العربية مثل الكتابة الافرنكية وهذا رأي سديد لولا ما يعيبه من الافراط . واذا كان رجال المذهب الاول مخطئين في الاستمرار على ما تقادم عهده فرجال المذهب الثاني مخطئون في تركيب الكلام وصوغه — ثم الفريق الاول يحول دون ترقي اللغة ويشوه محاسنها بالتقاء ما سمح من كلماتها مبالغة منه في التشبه باهل البدو من الجاهلية وغيرها . والفريق الثاني اتفق على الفاظ يركب منها كلاماً وكثيراً رأى كلمة لا يعرفها قال هذه لغوية ! يريد خويصة ! وقال ينبغي ان تكون كتاباتنا كلها عصرية . واخشى ضائع بين رجال المذهبين

القشرة الرقيقة التي تحيط ببياض البيضة مما يلي قشرها الخارجي يقال لها غرقئ والفرنساويون يقولون (Zeste) . فاذا دعت الحاجة الى ذكر الغرقئ عليها الناس ولكن ما الحيلة وليس هناك لفظ آخر يدل دلالته . واستعمال هذه الالفاظ ليس كاستعمال ما لا ضرورة اليه مثل الحيزبون والدردبيس والعلطبيس كما ذكره الصفي الحلي في ابياته المعروفة

اشعر الشعراء واكتب الكتاب في هذا الزمان عاجز عن وصف غرفة نوم او ثياب رجل . فاذا هو رضي بالسرير والغطاء والكرسي والمرآة فما يقول في غيرها . افلا يوجد شيء آخر في غرف النوم ؟ ما هي (الجاكته) وما هو (البنطلون) وهل ثم شاعر تطاوعه نفسه الى ذكرها كذلك في شعره ؟ ما فلتت ذلك قط . وهل في الناس صاحب يجرأ على ان يقول « فلانة تختال في فستانها الازرق وبرنيطتها او قبعتها السوداء والى جانبها صديقتها فلانة لابسة ثوبا تايورا » ؟ كلا ثم كلا . هذا اشبه شيء بهذيان المحموم

الفرنساويون وضعوا كلمات لاجزاء النافذة مثل Dormant, Traverse de haut, Petit bois, Crémone, Battant Meuseau, Battant de noix,

كما يجده القارئ في قاموس لاروس . فما يقال لهذه الاشياء باللغة العربية وهل يمكن الاستغناء عنها واهمالها والغدر باللغة العربية ام اخذ هذه الكلمات كما هي

ان لغة (الاسبرانتو) ولم يمض على وضعها ربع قرن يتكلم بها الآن خمسمائة الف انسان . وطبع بها الفا كتاب وينتشر بها اليوم نحو الثمانين من جريدة ومجلة وغيرهما . واللغة العربية وهي سيدة اللغات تكاد تدرس حتى في اوطانها . والذي نفع تلك هو سهولة تعلمها والذي اضر بهذه هو صعوبة تعلمها . واللغة العربية لغتان متباينتان احداهما يتكلم بها العامة والاخرى تكتب بها الكتب . وتوحيدها من اصعب الامور . على ان الصعب يمسي ذلولاً وينقاد الى المراس اذا عولج بالصبر والثبات . ولو تفضل اساتذتنا اصحاب المتنطف بوضع كلمات مما تحتاجها اللغة وادخلوها بعد ذلك في قاموس لكنا لهم من الشاكرين . ولقد مررت بالكلمات التي استخرجها حضرة الفاضل الدكتور معلوف من اسماء الطيور فاذا هذا غيره حلوه في استخراج مثلها في الملابس والاثاث وما كان من هذا القبيل وألف بعد ذا قاموس يحوي هذه المستخرجات كانت الفائدة عظيمة

ولي الدين يكن

تصديق الغرائب

ألّف احد الاساتذة الاميركيين كتاباً في موضوع علمي شرقي وبعث به الينا لننتقده له فرأيناه يذكر في اوائله ان الشرقيين اميل من غيرهم الى تصديق الغرائب عن غير ان يبحثوا عن علتها ومن غير ان يعرضوها على ميزان العقل والنقد فكتبنا اليه نقول انا اذا قابلنا بين معارفنا من الشرقيين والغربيين الذين تساوت وسائطهم العلمية لم نجد الشرقيين اميل الى تصديق الغرائب من الغربيين وذكرنا له امثلة المرسلين الذين يصدقون كل ما يروى لهم ولو ناقضهُ العقل او الاختبار وامثلة العلماء الذين يصدقون بمناجاة الارواح وانتقال الافكار ودلالة اساريرالكف وما شاكل مما لم يقم دليل على صحته . فاجابنا جواباً مسهباً ومما قالهُ فيهِ ان الحوادث التي تنسب الى مناجاة الارواح وافعالها قد بحثت فيها جمعية المباحث النفسية بحثاً علمياً مدققاً واحتاطت لكل ما يمكن وقوعهُ من الغش فثبتت لها صحة كثير منها مثل افعال اسابيا بلادينو وهي لا تعلل الاَّ بفرض من فرضين اما وجود الارواح وفعلها واما تأثير العقل في المادة وفعلهِ بها فعلاً مادياً

نقول وليس العبرة بالتعليل بل بصدق الحادثة التي يراد تعليلها وهو مثل قول احد ملوك الانكليز للجمعية العلمية الملكية لماذا اذا وضعنا اناء فيهِ ماء في ميزان وكان وزنهُ ووزن مائهِ كذا ارطالاً ثم وضعنا سمكة في الماء ولم يُرَق منهُ شيء بقي وزنهُ على حالهِ اي ان السمكة لا تزيد وزنهُ . فان هذه الحادثة اذا صحت لم يمكن تعليلها بنواميس المادة المعروفة ولكنها غير صحيحة واذا كان وزن السمكة رطلاً فوزن الاناء والماء يزيد رطلاً تماماً بوضع السمكة فيهِ . وما ينسب الى اسابيا بلادينو يحتمل ان يكون غير صحيح وان يكون العلماء الذين قالوا بصحتهِ مغشوشين اي مصابين بما يسمَّى بالاستهواء الذاتي ويحتمل ان تكون طرق الخداع خفية فلم يستطيعوا اكتشافها لانهُ قلما يوجد منهم او من غيرهم من يستطيع ان يكتشف كل حيل المشعوذين

كنا قبل كتابة هذه السطور تكلم في موضوعها مع احد آحاد العلماء فقال قولوا ما شئتم في حيل المشعوذين اما افعال المنومين فلا يمكن تعليلها بناموس طبيعي ولا ردها الى الحيل وانا لا استطيع ان اكذب مشاعري فقد رأيت بعيني المنوم ينوم امرأة ويضعها على كرسيين رأسها على كرسي ورجليها على كرسي آخر ثم ينتزع الكرسيين من تحتها ويبقيها معلقة في الهواء فضحكنا وقلنا لهُ هذه حيلة عملها وقد نشرنا تفصيلها في المقتطف غير مرة فلم يصدق انهُ يمكن ان توجد حيلة تجعل جسم المرأة يقف في الهواء فقلنا ليس الامر كذلك بل ان

المشعوذ اخرج من الحائط الذي وراء الكرسيين قضيباً افقياً من الحديد لهُ عارضة من الحديد ايضاً ومدّهُ تحت ظهر المرأة فحملها عليهِ ورفع الكرسيين من تحتها وهي لم تكن ثمة بل كانت متناومة . فوجد ان هذا التفسير معقولاً

وكان احد المشعوذين يطلب ان تربط ذراعاهُ معاً وراء ظهرهِ ويجعل اثنين من الاقوياء يمسكان طرفي الحبل ثم يفك يديهِ من غير مساعدة احد ويعيدهما الى رباطهما كذلك وقد حار العلماء الاوربيون والاميركيون في ذلك وحاولوا تعليلهُ بفروض تشريحية كتمدد العضلات وقوة المخل وما اشبه مع انهُ محض حيلة ولا شأن للعلم فيهِ وقد قلنا ذلك مرةً في جمهور من الاصدقاء فلم يصدقوا فطلب كاتب هذه السطور منهم ان يربطوا يديهِ معاً وراء ظهرهِ فربطوهما وشدوا الرباط جهدهم فاخرج يديهِ منهُ الواحدة بعد الاخرى ثم ردهما اليهِ واراهم الحيلة التي استخدمها لذلك فرأوها من ابسط ما يكون

ثم ان العلماء الذين شاهدوا اعمال اسايا بلادينو وداغوا عنها جهدهم مثل الاستاذ لمبروزو وقالوا انها تفعلها بقوة روحية هؤلاء العلماء انفسهم يقولون انها تمزج اعمالها الصحيحة بالحيل والخزعبلات وفسروا ذلك بان رغبتها الشديدة في نجاح اعمالها تدفعها احياناً الى استعمال الحيلة اذا رأت ان الروح لم تلبّها كما تريد . ويظهر لنا ان العمل الذي يكتشفون الحيلة فيهِ يقولون انهُ حيلة والعمل الذي لا يستطيعون ان يكتشفوا ما فيهِ من التحيل يقولون انهُ صحيح لا خداع فيهِ

اذا وقف الكهاوي في نادي الخطابة او نادي التعليم يظهر غرائب الاعمال الكهاوية كحرق الماس في الاكحين واشعال القصفور تحت الماء لم يحتج لادهاش سامعيهِ وناظريهِ الى شيء من الحيل والشعوذة . واذا لجأ الى الحيل فذلك شبهة كبيرة على قصر معارفهِ الكهاوية وفساد دعاويهِ فيها وهذا شأن مناجي الارواح فانهم اذا كانوا يناجون الارواح حقيقة وكانت الارواح خاضعة لهم فما تعملهُ وحدهُ كافٍ لاثبات دعواهم فلماذا يلجأون الى الحيلة والخداع وما ادرانا ان ما لم نكشف خداعهم فيهِ ليس خداعاً مثل الذي كشفناهُ . وزد على ذلك فان الحق يعصم اصحابهُ عن الخداع ولا يعقل ان يكون انسان على حق ودليلهُ فيهِ واضح مقنع وهو يلجأ الى الحيل والاخاديع

هذا ودعاوي المدعين مناجاة الارواح وحلول ارواح الموتى فيهم كثيرة عند الاوربيين والاميركيين تنشرها مجلاتهم كما تنشر المكتشفات العلمية . نشر الدكتور جس هملب في مجلة جمعية المباحث النفسية الاميركية ان رجلاً اسمهُ المستر ثمسن تعلم مبادئ فن

التصوير الاولى وفي اواخر سنة ١٩٠٥ بدت منهُ رغبة شديدة في الرسم والتصوير وجعل يقول ان جفورد يريدهُ ان يصوّر . وجفورد هذا مصوّر التقى طمسن بهِ عرضاً في الريف وكان طمسن يصطاد وجفورد يصور الاراضي . ثم التقى بهِ ثانية في نيويورك وأراهُ بعض الحلى ولم يكن بينهم صداقة ولا معرفة تامة . ومات جفورد قبلما ظهرت هذه الرغبة في طمسن بستة اشهر ولم يكن يعرف شيئاً عن موتهِ حتى ذهب يوماً الى بيت جفورد ليرى صورهُ فسمع صوتاً ينادي بهِ ويقول لهُ ارى ماذا فعلتُ افلا تقدر ان تأخذ صورتي هذه وتتمها . ولم يكن طمسن من الذين يعتقدون بمناجاة الارواح فظن انهُ كان يحدس حدساً لكنهُ مسك قلم التصوير بيدهِ واتمّ الصورة ثم صوّر صوراً أخرى من الصور التي رسمها جفورد قبل موتهِ ولم يتمها فظنّ انهُ اصيب بدخَل في عقلهِ ومضى الى الدكتور هسلب فرأى هذا ان مسألتهُ تستحق البحث وجمعهُ مع وسيط فظهر له ان روح المصوّر جفورد كانت ترشدهُ لتتميم صورهِ

هذا ما ذكرتهُ مجلة جمعية المباحث النفسية التي يقول صديقنا انها تبحث في ما يعرض عليها بحثاً علمياً مدققاً وعندنا ان الريب في صدق طمسن هذا اقرب الى المعقول من دعواهُ لاسيما وان مهارة المصور في التصوير ليست متوقفة على روحهِ والاَّ لصار كل مصور مصوّراً في يوم او اسبوع ولكنها متوقفة على تمرُّن اعصابهِ وعضلات يدهِ فلو اصيبت يمين المصور بآفة لم تقم يسراهُ مقامها مع ان روحهُ تبقى على حالها

وكتب المستر اوستن في مجلة العقل يعلّم الناس كيف يتناجون عن بعد او يتناقلون الافكار فقال

(١) انظر ملياً في الموضوع الذي تريد نقل الافكار فيهِ

(٢) اختر واحداً من اقاربك او معارفك الذين تميل اليهم او واحداً من الذين يشتغلون بذلك الموضوع او يهتمون بهِ مثلك

(٣) اختر الساعة الثانية صباحاً (اي بعد نصف الليل بساعتين) لانها خير الاوقات لما تريد ويكون الشخص الذي اخترتهُ نائماً في الغالب والنوم يوقف الشعور ولكنهُ لا يمنع ما تريدهُ

(٤) تصور ان الشخص الذي اخترتهُ قريب منك وخاطبهُ بما تريد فكرياً كأنهُ واقف امامك فتنتقل الافكار منك اليهِ ولا بأس بأن تذكر اسمهُ حينئذٍ كأنك تخاطبهُ وجهاً لوجه لكي يزيد انطباع افكارك في ذهنهِ

(٥) اجتهد في نقل افكارك الى من تريد نقلها اليهِ وهو نائم او مصاب بغيبوبة لانهُ يكون اقبل حينئذٍ لتأثر بها منهُ لو كان مستيقظاً

(٦) كرر ذلك مثنىً وثلاث ورباع

(٧) كلم من تريد نقل افكارك اليهِ بسلطة كن بأمرهِ امراً لأن العقول يتسلط بعضها على بعض والعقل الذي يصل اليهِ التأثير يتطلب سلطة العقل الذي يؤثر فيهِ

(٨) اجمع كل قوى عقلك ونفسك في الافكار التي تحاول ارسالها وانت ترسلها ولا تفكر الاَّ فيها كأنك تريد ان تنقل نفسك الى نفسهِ

وقرأنا لغيرهِ ارشادات اخرى في هذا الموضوع قال فيها ان نقل الافكار لا يكون بالكلام بل بالتصوُّر فاذا اردت من شخص أن ينهض ويكتب لك كتاباً فلا تقل لهُ قُم واكتب كتاباً لان نفسهُ لا تفهم كلمة قُم وكلمة اكتب بل تصوَّرْ فعل النهوض من السرير وفعل مسك القلم والكتابة واسناد الفعلين اليهِ اي انقل الصور الذهنية الى عقلهِ لا الكلمات الدالة عليها فان كانت هذه الامور صحيحة لم يبقَ شيءٌ من خرافات الاقدمين الاَّ وهو محتمل الصحة

السلطة للمال

كانت السلطة للقوَّة البدنية فاختصَّ بها الاقوياء الذين يقهرون غيرهم في الحروب وتوارثها اعقابهم وقبائلهم فقام منهم الملوك بالانتخاب او بالارث . ولما كان عملهم الامارة وهي غير منتجة أي لا دخل لها لا من الارض ولا من عمل الغير تناقصوا تفقاتهم من الغنائم او من ابتزاز الاموال من الاغنياء فكانوا يغزون غيرهم من القبائل لاغتنام اموالهم ويصادرون الاغنياء من ابناء قبيلتهم ويبتزُّون ما عندهم فوق ما يضريبونهُ على عامة الشعب من الضرائب وجروا على ذلك الى عهد قريب . فقد بقي ابتزاز اموال الاغنياء شائعاً في هذا القطر الى اواخر عهد اسمعيل باشا حتى كان اغنياؤهُ يضطرون ان يخفوا اموالهم ويتظاهروا بالفقر اما الاطيان التي لا يمكن اخفاؤها فكانت تؤخذ منهم بثمن او بلا ثمن واذا ابوها فبالعدَّة والكرباج كما هو معلوم . وما بقي جارياً في هذا القطر الى اواخر عهد اسمعيل باشا كان جارياً في كل البلدان التي المسكونة كلها ولا يزال جارياً في بعضها الى الآن

ولقد نهض الشعب من وقت الى آخر لاسترداد السلطة المغصوبة منهُ فكان يفلح تارةً ويفشل اخرى وكان يتفق ان يتسلط عليهِ رجال أُشربوا حب العدل فيعدلون فيهِ ولا يتقاضونهُ غير ما يكفي لاقامة العدل وحفظ سياج المملكة كما فعل بعض الملوك والخلفاء ولكن تعلمهم هذا كان تجرُّد ارادتهم لا بحق خوَّلهُ الشعب واحتفظ بهِ . ودامت الحال على هذا

المنوال الى ان قويت سلطة الشعب وتمّ الاتفاق على اعادة السلطة له في اكثر الممالك الاوربية فتمتع الاغنياء بمنافع ولم يعد اهل الامارة يستطيعون ان يبتزّوا الاموال منهم بل أُجبروا على الاكتفاء بما فُرض لهم على الشعب اي بما فرَضهُ لهم نوّاب الامة مما يلزم لنفقاتهم لا يزاد غرشاً فعاش الاغنياء تاركي البال آمنين من مصادرة الاموال

والغنى يخوّلهم بسهولة ان ينفق كل ربع اموالهم فتزيد وتتراكم سنة بعد اخرى ومن ثم قام في الممالك الدستورية الاغنياء الكبار مثل بيت رتشيلد وبيت استور وبيت فندربلت وكارنجي وروكفلر وغيرهم من الذين فاقوا بمنافعهم الملوك والامراء. ولم يكتفِ هؤلاء الاغنياء بالاحتفاظ باموالهم بل صارت لهم السلطة السياسية ايضاً في البلدان التي هم فيها حتى جعلوا جيوشها واساطيلها رهن امرهم وطوع اشارتهم تدافع عن اموالهم بدمائها. وهذا معنى ما يقولهُ الآن ساسة انكلترا وفرنسا والمانيا واميركا «مصالحنا» اي متاجر اغنياء بلادهم واموالهم المدانة للامم الاخرى. فمصالح فرنسا في مصر هي البنك العقاري الذي اكثر اسهمهِ وسنداته في يد الفرنسويين وبنك الكريدي ليونه الذي أكثر اموالهِ منهم وجانب كبير من دين الحكومة المصرية الذي يخص اناساً من الفرنسويين والمتاجر التي ترد كل سنة من فرنسا وتباع في هذا القطر. وقس على ذلك مصالح المانيا وايطاليا والنمسا وبلجكا. ومن هذا القبيل مصالح انكلترا ايضاً ويزاد عليها حصتها الكبيرة من ترعة السويس وكون هذه الترعة طريقاً الى املاكها ومصالحها في الهند

واذا بحثت عن اصحاب هذه المصالح الحقيقيين من انكليز وفرنسويين والمانيين ونمسويين وبلجيكيين وايطاليين وجدتهم الاغنياء اصحاب البنوك والمعامل والمصانع الذين لا يتجاوز عددهم الالوف او المئات واما جمهور الشعب من الفلاحين والعمال الذين يُعدّون بعشرات الملايين فلا يمكون شيئاً من هذه المصالح وغنى مصر وغيرها من البلدان الشرقية لا يكسبهم رغيفاً فوق الرغيف الذي يأكلونهُ وفقرها لا يخسرهم غرشاً. وقس عليهم الجنود البرية والبحرية الذين يدافعون عن مصالح بلدانهم بدمائهم مسوقين الى الحروب كالانعام فانهُ ليس لهم منهم من تلك المصالح وانما هي مصالح الاغنياء وهم خدّام مسيرون في هذا الشيار تيار خدمة الوطن ومصالحهِ

وقد تقدّم لنا في مقالة سابقة ان للانكليز ٢٧٠٠ مليون من الجنيهات مثمّرة (موظفة) في غير الجزائر البريطانية فمنها ١١٧٠ مليون جنيه في اميركا وكندا و ٥٣٥ مليون جنيه في افريقية و ٤٥٠ مليون جنيه في آسيا و٣٤٧ مليون جنيه في استراليا و٢٠٥ ملايين جنيه في ممالك اوربا و٥٠ مليون جنيه في اميركا الجنوبية. ولسائر ممالك اوربا اموال مثمّرة في كل البلدان

ويقدَّر مجموعها كلها بنحو ستة آلاف مليون جنيه - وهذه الاموال تزيد كل سنة زيادة فاحشة فقد ذكرنا في جزء اغسطس الماضي انهُ يفضل مع الانكليز كل سنة نحو مئة مليون جنيه وهي فضلة دخلهم على نفقاتهم واحصى بعضهم ما يفضل عند غيرهم من الامم فوجد انهُ يفضل كل سنة عند اهالي الولايات المتحدة ١٢٠ مليون جنيه وعند الفرنسويين ٨٠ مليون جنيه وعند الالمانيين ٦٠ مليون جنيه وعند البلجيكيين والهولنديين والسويسريين ٥٠ مليون جنيه وعند السويين ٣٢ مليون جنيه وعند الروسيين ٣٢ مليون جنيه ايضاً وعند الايطاليين ١٢ مليون جنيه وعند الاسبانيين والبرتغاليين ١٢ مليون جنيه وعند الاسوجيين والنروجيين ثمانية ملايين جنيه والجملة نحو ٥٠٠ مليون جنيه

هذه الاموال الطائلة تفضل كل سنة عمَّا ينفقهُ الاوربيون واهالي الولايات المتحدة فيوسعون بها الاعمال في بلدانهم المختلفة ويثمرونها في اسيا وافريقية - واذا تذكرنا ما قالهُ الحكيم وهو ان المديون عبد للدائن فهم يستعبدون باموالهم سكان اسيا وافريقية بتديينهم اياها المئة باربعة الى ستة او سبعة في السنة ويقاضون ربحها منهم وهو لا يقل عن ثلثمئة مليون جنيه

ولكن الذي يجول في البلدان الاوربية لا يرى جمهور الاهالي على ثروة طائلة بل بالضد من ذلك يراهم فقراء يعيشون من يدهم الى فمهم كما يقول المثل الانكليزي واذا ابطلوا العمل بسبب المرض او المطر تصوروا جوعاً وقد يموتون جوعاً بالفعل لجمهور الاهالي او تسعة وتسعون في المئة منهم لا ينالهم شيء من هذه الثروة فهي خاصة بالاغنياء وهم خدام لهم يخدمونهم بقوى اجسامهم وعقولهم كما تخدمهم الامم المديونة لهم

تدفع الحكومة العثمانية لاصحاب الديون من الاوربيين اكثر من ثمانية ملايين من الليرات كل سنة ولا يزيد دخل شعبها كلهِ على ثمانين مليون ليرة فاكثر من عشر دخلهم يذهب الى نفر قليل من اصحاب ديونها عدا ما يكسبونهُ من متاجرهم مع تركيا - وتدفع الحكومة المصرية وشعبها لاصحاب الديون المصرية من الاوربيين ستة ملايين من الجنيهات او اكثر وقد لا يزيد دخل القطر المصري كثيراً على خمسين مليوناً من الجنيهات فهو يدفع اثني عشر في المئة من هذا الدخل للدائنين - وقس على ذلك سائر البلدان المديونة لهم - واذا تأخرت بلاد عن دفع دينها او اذا ظُنَّ في بلاد انها تستطيع ان تستدين من اموال هؤلاء الاغنياء وهي لا تستدين منها او انها تستطيع ان تشتري من بضائعهم وهي لا تشتري استخدموا كل ما لديهم من الوسائل لجعلها تدفع ربا دينها على آخر بارة ولجعلها تستدين منهم وتشتري من بضائعهم وهذا سبب تعرضهم لشؤون البلدان المختلفة في اسيا وافريقية واتباعهم سياسة

الباب مفتوح واهتمامهم بالمقاطعة التجارية وعدها حرباً عدائية

وجملة القول ان السلطة الفعلية انتقلت او اخذت تنتقل من اصحاب الامارة الى اصحاب الاموال . وصار اهتمام اصحاب الامارة بالسلطة على مقدار نفعهم منها لانهم هم ايضاً صاروا شركاء مع التجار في المتاجر والاسهم والسندات . فهل خسر الشعب بما تمّ حتى الآن من انتقال السلطة الى اصحاب الاموال وهل تزيد خسارته اذا تمّ هذا الانتقال كما ينتظر . والجواب كلاّ لان نسبة الشعب الى اصحاب الامارة كانت نسبة العبد الذليل الى سيده العاتي واما نسبته الى اصحاب الاموال فنسبة الخادم القوي الى سيده الضعيف فقراءه يعتصب على اصحاب الاموال من وقت الى آخر فيضطر هؤلاء ان يراضوه ويرفعوا اجوره . ولم يكن احد من عامة الشعب يطمع بالامارة اما الغنى فسبيله مفتوح امام كل مجتهد مقتصد ولذلك قد ترى الواحد الآن يولد وهو من افقر الفقراء ويموت وهو من اغنى الاغنياء . وقلما كان اصحاب الامارة يهتمون بتوزيع سلطتهم على شعبهم اما الاغنياء فكثيراً ما ينفقون الاموال على الاعمال العمومية النافعة لجمهور الشعب واذا كان اولاد الملك لا يصلحون لان يخلفوه لم يستطيعوا ان يورثوا سلطته على شعبه واما اولاد الاغنياء فاذا لم يستطيعوا الاحتفاظ باموال ابيهم بذروها وبددوها فتتوزّع على الجمهور ثانية . واموال الاغنياء عملت كل الاعمال العظيمة المؤسسة على الاختراعات الحديثة التي بها قلّت المشاق وزادت الراحة . والخلاصة ان هذا الانتقال ليس بضائر اذا نظرنا اليه في الامم امة امة اي ان ابناء الامة الواحدة لا يضرّون بانتقال السلطة من امرائهم الى اغنيائهم بل يستفيدون ولكن ما يصدق على ابناء الامة الواحدة بالنسبة الى امرائها واغنيائها لا يصدق عليهم بالنسبة الى اغنياء غيرها من الامم فلتتدبر ذلك الامم الشرقية لئلاّ تضيع البقية الباقية لها من العزة والحرية باستعبادها لملوكها ولاغنياء الامم الاخرى

اما الامم التي وضع على عنقها نير الدين واستحكمت حلقاته كالامة المصرية فسبيلها الوحيد لاسترجاع حريتها الاجتهاد والاقتصاد . الاجتهاد حتى تكثر موارد دخلها وتزيد وذلك بالفنون الزراعة والصناعة وكل الاعمال المنتجة وهذا الباب واسع جداً لانهُ اذا استطاع زيد ان يستغل من فدانه ثمانية قناطير من القطن وثمانية اراديب من القمح و ١٥ اردبّا من الذرة وجب ان يستطيع ذلك كل احد لان ارض مصر تكاد تكون واحدة في معدنها . والاقتصاد في النفقات ولاسيما اقتصاد الاغنياء الذين يبذرون اموالهم على ما لا يفيد احداً . فاذا زادت ثروة البلاد وتخلصت من ديونها سهل عليها نيل كل حرية

فلسفة شوبنهور (1)

شوبنهور زعيم فلسفة التشاؤم ومن كبار فلاسفة الالمان في القرن التاسع عشر ولد سنة ١٧٨٨ وقضى صباهُ في المانيا وفرنسا وانجلترة تبعاً لرأي والدهِ في التربية . فنشأ من ذلك حرّ الفكر لم تقيّد عقلهُ قيود المدارس التي تضر الكثير وتنفع القليل . وكان غرض والدهِ ان يعدّهُ للتجارة ولكنهُ لم يحقق هذا الغرض اذ مات منتحراً نتيجة افلاس مالي . اما امهُ وكانت كاتبة بارعة في الفنون فلحظت نشوءَهُ الى العلوم فأدخلتهُ في احدى الجامعات فنبغ فيها وبدت بوادي فلسفتهِ من ذلك الوقت . فكان على شدة شهواتهِ كاتباً لما كما تشهد بذلك مذكراتهُ التي قال فيها احد مترجميهِ انها غير خليقة بالظهور امام الجمهور . ولما ترك الجامعة كانت افكارهُ قد اختمرت فألف كتابهُ المشهور : العالم ارادة وتصوّر

ولكن قضي عليهِ ان يموت قبل ان ينتبه العلماء لاقوالهِ على شدة الحاحهِ بعلو فلسفتهِ وقدرها . اما الآن فيعد في مصاف العلماء الذين قدموا الفلسفة واسفروا عن الطبيعة اخفايا الكثيرة . وقد عاش عزباً الى ان مات في سنة ١٨٦٠

١ الحقيقي والتصوري

قال شوبنهور عن كتابهِ انهُ ليس نظاماً فلسفياً بل تصوّر يمكن تطبيقهُ على كل اعمالنا . وهذا التصوّر ينحصر في القول بان كل الاشياء التي حولنا — كل هذا العالم الذي نشعر بهِ او نراهُ هو خيال ولا نعرف حقيقتهُ . مثال ذلك هذا الكتاب فنحن لا ندرك حقيقة الكتاب بل ندرك ما تدلنا عليهِ حواسنا عنهُ . فعلمنا عن الكتاب تصوري خيالي لا حقيقة . فلو زادت فينا قوة الشم مثلاً الى درجتها في الكلب لغيرما نعرفهُ عن الكتاب

فنحن اذن نعرف ظاهر الشيء او هيئتهُ اما ذاتيتهُ او حقيقتهُ فلا نعرفها لان حواسنا تدلنا فقط على ظواهر الاشياء . فاذا اردنا ان نفهم كنه الطبيعة او سرها وجب ان نعتمد على شيء آخر غير حواسنا

ولكن علومنا ومعارفنا كلها مبنية على ادراك الحواس . اذن فعلومنا خطأ ونحن نعرف ظواهر الاشياء لا حقيقتها

ولكنك ترى في الطبيعة نواميس ثابتة تدل على قوة كامنة فيها كالجاذبية مثلاً . ويقول شوبنهور ان الجاذبية هي مظهر من مظاهر القوة العالمية التي يسميها بالارادة

(1) The World as Will and Idea by Schopenhauer

فالارادة هي الحقيقة الوحيدة التي نعرفها . ونحن نعرفها من أنفسنا اولاً فهي تعبّر عن نفسها فينا بالشهوات والغرائز وتعبر عن نفسها في العالم بكل المظاهر التي تظهر امامنا . فحركة السيارات وجري الرياح والانهار وتقاتل الوحوش والحياة نفسها — كل هذه تعتبر من مظاهر القوة او الارادة العالمية . فالارادة حقيقية فينا بمعنى أنها غير مبنية على الحواس التي تنقل لنا صور الاشياء او هيئتها وهي امر الحركة والعمل فينا وفي الطبيعة

٣ فلسفة التشاؤم

ولكن ما هي نتيجة هذا التصوّر ؟ لنبحث أولاً عن حقيقة الارادة

اذا اردنا ان نأكل عينا بذلك اننا في حاجة الى الاكل . واذا لم نكفر هذه الحاجة شعرنا بألم الجوع

فالارادة دليل حاجة في جسمنا . وهذه الحاجة دليل ألم يبدأ بالاكل فالارادة ألم

ولكن السعادة المعروفة اليوم هي ان تهدأ نفوسنا أي ان لا تتنافر طبيعتنا مع ما هو حولنا . وبعبارة أخرى ارضاء ارادتنا

ولكن ارادتنا ألم فهل ارضاء الألم سعادة ؟

اذا اردت ان اسديك فضلاً فلا ينبغي ان اكتفي باعفائك مما عليّ لك من الدين . ولكن هذه هي السعادة . فالطبيعة اذا أرضت شهواتنا او ارادتنا سميناها أنفسنا سعداء بمعنى انها اذ اوفت دينها ولم تزد عليه شيئاً اغتبطنا وفرحنا ؛ نحن فيه من السعادة

هذه هي فلسفة التشاؤم . أي ان السعادة من الاوهام الفارغة التي نجري وراءها ولا نصل اليها . والانسان عبد لارادته وبالنتيجة هو اناني فاذا سعد فبؤس غيره وقيمة الجنيه الذي في جيبه تزيد بقدر احتياج غيره اليه

وقد انكر ان الله يجازي الانسان في الحياة الثانية وقال ان الانسان مقضي عليه بالشقاء في هذه الدنيا ودواؤه الوحيد ان يتخلص من حياته ويخلص غيره بالقتل وعدم ولادة الاولاد

وقد فعل بما قال بل زاد فعاش عزبا طول حياته واشتد كرهه للنساء لانهن سبب تخليد نوع الانسان الى حد ان ضرب واحدة منهن وغرّم بدفع اعانة شهرية لها الى ان ماتت

هذه هي خلاصة الخلاصة لما ارتآه في الكتاب المشار اليه . واهم اعتراض على هذه الفلسفة أولاً ان السعادة ليست غرض الانسان — اذا أُريد بالسعادة اطمئنان النفس الى ما حولها . وثانياً ان الانانية التي هي اس اعمالنا حتى في تضحية انفسنا فضيلة يجب ان تمدح وتنوى على أساليب معقولة

لندن سلامة موسى

الميزانية العثمانية

خلاصة اجمالية لميزانية سنة ١٣٢٥ المالية العثمانية التي انتهى مجلس المبعوثان من المناقشة فيها في ١٣ اغسطس الماضي

	المصروفات	غرش
الديون العمومية	...	٨٢٩ ٤٢٦ ٢٠٢
الخزينة الخاصة	...	٥٢ ٢٥٧ -٢٧
المجلس العمومي (الاعيان والمبعوثان)	...	٢١ ٥٣٤ ٦٠٠
الصدارة	...	٣ ٤٤٩ ٤٠٧
شورى الدولة	...	٥ ١٥٢ ٢٢٧
الداخلية	...	٨ ٥١١ ٢٩٢
الامن العام	...	٤٠ ٣٦٣ ٠١٠
الخارجية	...	٢١ ٨٣١ ٠٢٥
المالية	...	٢٧٢ ٣٢٣ ٤٨٢
ديوان المحاسبات	...	١ ٦٢٨ ٤٠٠
الرسومات (الجمارك)	...	٥١ ٤٨٣ ٨٧٦
البوستة والتلغراف	...	٦٩ ٢٨٩ ٩٥٣
الحربية	...	٨٢٨ ٠٥٤ ٢٦٣
الطوبخانة	...	٤٣ ١٤٥ ١٤٨
الجندرمة	...	١٨٠ ٠٧١ ٤٩٢
البحرية	...	١٢٢ ٨٨٤ ٠٨٦
العلمية (المشيخة)	...	٤٨ ٥٤٣ ٣٧٧
العدلية والمذاهب	...	٦٥ ١٩١ ٧٢٠
المعارف	...	٦٦ ٠٥٢ ٧٥١
الحراج والمعادن والزراعة	...	٣٣ ٤٢٦ ٢٩٦
التجارة والمنافعة (التجارة والاشغال)	...	١٠٦ ٤١٢ ٣٥٥
الشركة الحديدية الحجازية	...	٦٩ ٣٢٥ ١٢٤

الدفتر الخاقاني (قاداستر و)	١١ ٣٨٢ ٠٠٠
الصحة	١ ٠٩٢ ٠٨٠
المجموع	٣٠٥٢ ٨٣١ ١٧٢
الايرادات	
ضريبة الاملاك والعقار	٢٤٣ ٥٧٦ ٤٠٠
ضريبة التمتع	٤٧ ٢١٧ ٥٠٠
البدل النقدي	١٢٨ ٩٦١ ٢٠٠
التكاليف الشخصية في الطرق والمعابر	٢٨ ٣٤٤ ٤٠٠
رسوم الاغنام والجمال والجواميس	١٦٦ ٩٣٤ ٩٠٠
الاعشار	٥٣٨ ٣١٠ ٢٠٠
الرسوم التي تؤخذ من الغابات الخصوصية	١٢ ٦٨٦ ١٠٠
رسوم المعادن	٥ ٥٥٥ ٨٠٠
اثمان تذاكر الضرائب	٥ ٦٦٠ ١٠٠
حاصلات الاملاك الاميرية المحولة من الخزينة الخاصة ...	٦٢ ٠٣٣ ٣٠٠
حصة اعانة المنافع والمعارف	٧٧ ١٢٣ ٠٠٠
رسوم الثمغة	٤٣ ٥١٦ ٠٠٠
الخرج	٣٧ ٠١٢ ٨٠٠
القيديات	٢٦ ٨٨٥ ٨٠٠
رسوم المسكرات وبيع التنباك	٢٨ ٥٢٤ ٣٠٠
رسوم الكمرك	٣٩٤ ٦٢٤ ٤٠٠
رسوم البحرية	١٦ ٠٥٥ ٤٠٠
رسوم صحة الحيوانات	١ ٩٣٢ ٨٠٠
الصيد البري والبحري	١٣ ٥٣٤ ١٠٠
الملح	١١٦ ٤٨١ ٨٠٠
المأخوذ من الريجي مع حصة الديون العمومية والخزينة ...	٩٥ ٠٩٧ ٣٠
ريجي التنباك	٤ ٠٠٠ ٠٠٠
البارود	٧ ٢٦٣ ٤٠٠

المكوكات	١١٠٠٣٠٠
البوستة والتلغراف	٧٩٣٥٨٩٠٠
حاصلات تشغيل السكة الحديدية الحجازية	٧٦٠٠٠٠٠
معمل الهواء الغازي بطوبله بفجه	٥٧٢٠٦٠٠
حاصلات مكتب الصنائع	٩٣٠٠٠٠
واردات كباري الخليج	٥٩٣٦٥٠٠
حاصلات المعادن	١٢٤١٣٤٠٠
الايرادات من بيع الاملاك المحلة والايجار	٨٦٣٦٠٠٠
اثمان الاشياء التي تباع	٢٤٣٧١٠٠
حاصلات الخراج الاميرية	١٥٤٨٥٠٠٠
ويركو مصروزيلغ وقبرس واينه روز رميسام	٨٧١٣١٦٠٠
الواردات المحصلة من معاملات الخزينة	٨٩٤٦٧٠٠
تتمات بنوك الزراعة	٧٧٠٩٨٠٠
حاصلات المكتب الطبي	٣٠٧٧٠٠
براءات الاختراع	١٩٣١٠٠
الجزء النقدي (الغرامات)	١٧٢٥٧٠٠
حصة الخزينة من حاصلات الشركات ذات الامتيازات ...	١١٩٣٥٠٠
من السكك الحديدية	١٧٣٣٤٠٠
من القومبانيات ذات الامتياز مقابل التفتيش	٢٧٦٨٠٠
اعانات السكة الحديدية الحجازية	٢٤٠٥٤٠٠
التجهيزات العسكرية	٥٨٦٣٤٢
الحاصلات المتفرقة	٣٩٠٠١٦٠٠
المجموع	٢٥٠٧٨٩٦٢٠٠

هذا ويتعذر علينا ان نبدي اقل رأي في هذه الميزانية لان ليس لدينا شيء من تفاصيلها ولكننا كنا نود ان نذكر منها انه بلغت فوائد الديون العمومية ثمانية ملايين من الليرات ولو اضيف اليها الدين الذي يدفع ويركو مصر فائدة له وكم في الفائدة الحقيقة وكم هي مبالغ

الاستهلاك . وكيف تكفي ثمانية ملايين من الليرات لجيش عامل يبلغ نحو نصف مليون الى غير ذلك مما لا بدّ من الوقوف عليه عند نشر الميزانية المفصّلة

الاعيان والمبعوثان

جلسة الختام في هذا العام

التأم مجلس المبعوثان يوم السبت ٢١ اغسطس وقرأ الرئيس خطبة الوداع وهذا تعريبها

أيها الزملاء المحترمون

اليوم يختم اجتماع مجلس المبعوثان لعامه الاول وكنت اود ان اذكر مجملاً للاعمال التي قمنا بها فيه لو وجدت المجال ذا سعة . كان رجاؤنا في بادىء الامر اننا نستطيع اتمام الاعمال التي ناطت الامة بنا البحث فيها وتقريرها في الاربعة الاشهر التي ضربت موعداً لاجتماع المجلس ولكن تراكل الحكومة وتوانيها في ارسال البيانات والنظامات التي سنتها الينا أعاقنا فلم نتمّ اعمالنا طبق المرام . ثم اخذت تلك النظامات ترد على المجلس تباعاً فجعل ينظر فيها بعزيمة صادقة ونية صافية واذا شبح الاستبداد مثل امام عيوننا والفساد وراءه يرخي القائمون به ستار الدين عليه . اولئك جعلوا شعارهم «طلب الشريعة» ليتمكنوا به من خداع الجنود حماة الدستور اولئك الذين راموا اهانة الشريعة السمحاء ومحو صولة الامة ودك صروح آمالها . اولئك السفلة الذين اتخذوا الحرية التي تلناها بعد جهاد شديد سلاحاً يقضون به لباناتهم فقابلوا النعمة بالنقمة والاحسان بالكفران

ولكن الجيش العثماني الباسل المملوء حمية وغيرة وطنية . ذلك الجيش الذي يضرب بسيف الامة ليذود عن حوضها ويذبّ عن حريتها طعن بمرهف الحق تلك الفئة الباغية التي لا خلاق لها فانشق عمود الفجر وأجفل الليل متعثراً بثوب الخيبة والفشل . وعاد المجلس الذي التأم اياماً في سان ستفانوا للدفاع عن حقوق الامة الى هذا المكان الذي نحن فيه الآن عاقداً العزم على ان يدك صرح الاستبداد الى الحضيض فلا يبقى له عيناً ولا اثراً

بدأ المجلس حينئذٍ يعلي كلمة الامة ويرفع قدرها ومكانتها ويوافق على النظامات التي تسعدها وتنفع الحكومة والبلاد . اما الذين يقولون ان المجلس لم يأتِ عملاً مذكوراً فاني احول انظارهم الى مجمل اعماله ليبصروا خطاءهم

فقد عرضت الحكومة على مجلسنا ثلاثة وسبعين نظاماً فصادق على ثلاثة وخمسين نظاماً

منها بعد مناقشات عنيفة طال الاخذ والرد فيها ولا تزال النظامات الباقية منها معروضة على رجال القومسيونات يبحثون فيها ويدققون . ورفع حضرات النواب ٦٦٨ تقريراً قبل منها ١٥٨ تقريراً ارسلت الى النظارات لترى رأيها فيها واهملت التقارير الاخرى

ورفع الى المجلس عشرة آلاف اقتراح قبل منها ٤٥٠٠ اقتراح ورفض ٥٢٠٠ اقتراح منها وما بقي منها لا يزال معروضاً على بساط البحث . واذا علم ما تقتضيه هذه الاقتراحات من الوقت للمناقشة فيها والمناقشة في بعضها اكثر من مرة بسبب تعديل مجلس الاعيان له ثبت جلياً ان اعضاء المجلس الكرام لم يقضوا الشهور التي اجتمعوا فيها عبثاً ولا ذهبت اتعابهم سدًى ولا كانوا مشدودي الايدي . فالحق والواجب يقضيان بشكر المبعوثان ولاسيما رجال القومسيونات لما بذلوهُ من الهمة وذللوهُ من الصعاب

لما فتح مجلس المبعوثان لم يكن فيه شيء معدًّا ولكن الساعي التي بذلها زملائي المحترمون وقلم الادارة والمراسلات والمخترلون وقلم الاوراق والجنود المحافظون على المجلس سهلت كل امر عسير . وقد افردنا غرفاً للقومسيونات من الغرف الخاصة بنظارتي العدلية والاوقاف . ولما كانت هذه الغرف وغرف المجلس لا تكفي للاعمال فكرنا في ضم بنائي نظارتي الاوقاف والعدلية الى بناء المجلس ولكن الصدر الاعظم ابلغنا ان نظارة العدلية لا تستطيع اخلاء بنائها الآن فطلبنا من جلالة السلطان الاعظم مكاناً فانعم علينا بسراي جراغان ليجتمع فيها مجلس المبعوثان

فهذا الانعام وعناية جلالة السلطان رئيس السلطتين التنفيذية والتشريعية بمجلسنا يثبت لنا ميل جلالته الاكيد الى الدستور والى اعلاء مجد الوطن . فيحق لنا الافتخار بسلطان دستوري كجلالته (تصفيق) . ويجب علينا ان نشكر لحكومة الحاضرة ما بذلته من الهمة لانجاز القوانين وعرضها على مجلس النواب . وان نثق بان الحكومة التي قوامها رجال جد وعمل ذوو مقدرة وكفاءة ستدار دفة الاصلاح فيها بكل دقة ومهارة

مواطنيَّ الكرام

عملت وإياكم يداً واحدة تسعة اشهر ولما كان المرء لا يتعلم الواجب عليه في المدرسة بل في ساعات العمل اقول انني كنت غير مجرب للامور فاذا كنت قد هفوت في امر فهفوتي رمية من غير رام . واعتقادي ان الهفوة التي يرتكبها المرء بنية حسنة يجب ان لا تكدر احداً . وقد كان من حسنات مجلسنا اننا تعارفنا وسيكون لهذا التعارف فضل في اتفاقنا ووئامنا في العام المقبل . اننا نفترق اليوم على امل اللقاء بعد ثلاثة اشهر . فالواجب علينا ان نسعى

فيها جهدنا لشد ربط السلام بين ابناء الامة ونشرب انشدتهم حب الدستور . فادعوا لحضراتكم بالنجاح واستودعكم الله (تصفيق شديد طويل)

ثم علا الصدر الاعظم منبر الخطابة وقرأ الخطبة التالية

علتم من الخطبة التي سمعتموها الآن ان مجلس النواب الذي تمّ اعمالهُ في ٧ يونيو سنة ١٢٩٣ لم يوافق الاّ على ثمانية عشر مشروعاً فواحد منها فقط ينفع البلاد وهو مشروع المجالس البلدية . اما المشروعات الاخرى فلم تكن الاّ كتب شكر وامتنان اما مجلسكم هذا (اعني مجلس المبعوثان) فقد وافق بالرغم عما نتيهُ في سبيلهِ من الصعاب على ثلاثة وخمسين مشروعاً كلها تؤيد الدستور وترقي البلاد وستبذل الحكومة جهدها في تنفيذها وسن نظامات تحتاج البلاد اليها لعرضها على حضراتكم في اجتماعاتكم في السنة القادمة والحق يقال انكم ساعدتمونا في اجتماعاتكم الماضية مساعدة نافعة نشكركم عليها اجزل شكر

واخرج حسين حلمي باشا الخط الهمايوني من محفظة حرير احمر وتلاهُ وهذا تعريبهُ

لما كان اجتماع مجلس النواب في سنتهِ الاولى قد انتهى في ٨ اغسطس سنة ١٣٢٠ طبقاً للمادة ٤٣ من القانون الاساسي فقد تقرر ان يكون اجتماعهُ في السنة القادمة بارادة الله في اول شهر نوفمبر وقد اصدرنا الارادة باحالة مدة المجلس منذ اليوم وكلفنا الصدر الاعظم ان يقرأ ارادتنا في المجلس و يبلغ اعضاءهُ الكرام رضاءنا السلطاني عن الهمة الحقة الوطنية التي ابدوها

الامضاء محمد رشاد

حسين حلمي

وقرأ طلعت بك ناظر الداخلية الخط الهمايوني في مجلس الاعيان ثم تلا سعيد باشا الخطبة التالية قال

انهُ وان كان هذا العام هو العام الاول لتنفيذ القانون الاساسي كما يستفاد من اقوال الحكومة التنفيذية فقد صادق المجلس على عدة نظامات فيها فوائد كبيرة اذا نفذت فعلاً واذا شئتم فانا نرجو من حضرة الناظر ان يكون ترجماناً في الاعراب عن عواطفنا الخالصة لجلالة السلطان الاعظم وامتناننا العظيم من الاصلاح الذي جرى ومن العناية التي يظهرها جلالتهُ لمجلس الاعيان (نوافق نوافق) واشكر هيئة الحكومة باسم مجلس الاعيان لانها تقدر خدمة الهيئة التشريعية حق قدرها . فقد انتهت مدة اجتماع مجلسي الاعيان والمبعوثان عملاً بتلك الارادة التي سمعتموها وطبقاً للقانون الاساسي . انتهى

وكان هذا ختام اجتماعات المجلسين في هذا العام

باب الزراعة

الحاصلات المصرية

جاءت المزروعات هذا العام في القطر المصري شتاء وصيفاً فاعتدل الهواء في الشتاء وكان الري وافياً فلم يشكُ أحد من محصول القمح والفول بل كان الكلُّ شاكرين ولم يهبط سعر القمح لانهُ مهما زاد فهو لا يكفي حاجة البلاد فيبقى ثمنهُ مناسباً لثمن ما يرد منهُ من الخارج والقمح غالٍ في اوربا فبقي سعر الاردب من القمح المصري من ٢٠ ا غرشاً الى ١٥٠ غرشاً وهو سعر غالٍ . أما التبن — ومقطوعيتهُ محصورة في البلاد ولا يحتمل ان يشتريهُ الفلاحون من الخارج ولو قلَّ عما تحتاج اليهِ بهائمهم — فهبط سعر الحمل منهُ من مئة غرش الى نحو ثلاثين غرشاً . وهبط سعر الفول ايضاً من ١٥٠ غرشاً الى ما بين ١١٠ و١٢٨ ا وسعر الشعير من ١٠٠ غرش الى ٨٠ غرشاً

وجاء الفيضان باكراً ووافياً والهواء معتدلاً فجادت زراعة القطن وزراعة الذرة . وقد أُصيب القطن بالدودة وأُصيبت معهُ الذرة اما القطن فإصابتهُ غير عامة ويقدر نقصهُ بسبب الدودة بنحو ٥٠ في المئة ولكن الذي لم يصب زاد نموهُ ولوزهُ عن المعتاد وتقدر الزيادة بنحو عشرين في المئة عن العام الماضي وقد عمت مساحة الاطيان المزروعة قطناً هذا العام بما يمكن من التدقيق فاذا هي أقل كثيراً من المساحة في العام الماضي لكن ارباب الزراعة يرجحون ان المساحة واحدة ان لم تكن هذا العام أوسع من العام الماضي فاذا ثبت ذلك فموسم هذا العام يكون أكبر من موسم العام الماضي بنحو خمسة في المئة على الاقل فيبلغ سبعة ملايين قنطار لان موسم العام الماضي بلغ نحو ستة ملايين وثلثي المليون من القناطير

وسعر القطن الآن جيد جداً فقد بلغ سعر القنطار الى حين كتابة هذه السطور أكثر من ٨ ا ريالاً وسعر اردب الذرة أكثر من ثمانين غرشاً وكثيرون قطعوا سعر اقطانهم من الآن باربع مئة وعشرة غروش القنطار . فاذا بلغ الموسم سبعة ملايين قنطار وكان متوسط سعره الفلاح ٤١٠ غروش بلغ مجموع ثمنهِ ٢٨ مليوناً و ٧٠٠ الف جنيه هذا عدا ما يضاف اليهِ حين يبعهُ للخارج من اجرة الحلج والحزم والوزم والشحن وربح السمسار والتاجر فيفوق

الثمن الذي يأخذهُ القطر المصري من اهالي اوربا واميركا الذين يشترونهُ ٣١ مليون من الجنيهات

ونمو الذرة جيد جدًّا لاسيما وان اكثرها مبكر والذي كلتهُ الدودة أُعيد زرعهُ الاَّ ما كان منهُ مبكراً جدًّا وضربتهُ الدودة بعد ان بلغ اشدَّهُ من النمو . ولعلَّ ضرب الدودة اياهُ هذا العام يمنع الناس من التبكير الكثير في زرعهِ في الاعوام المقبلة . والمرجح ان موسم الذرة هذا العام يكون اكبر من موسم الذرة في العام الماضي بنحو عشرين في المئة اذا سلم من الآفات الجوية

اصلاح الاطيان بالمصارف

لا شبهة في ان توفر الري الصيفي في القطر المصري يتلف الاطيان ان لم يُتلافَ هذا التلف بالمصارف فاذا كانت الارض تزرع زراعة واحدة نيلية فقط كان حر الصيف وجفافهُ يجففان التربة فتستعد للزراعة الشتوية في العام التالي اما وقد شاعت الزراعة الصيفية فلم تعد الاطيان تجف صيفاً بل صارت رطوبتها تزيد فتتراكم المفونة والحموضة في طبقتها السفلى التي تنتشر فيها جذور المزروعات

وتختلف طبيعة الاطيان بين التراخي الاجزاء الذي يمكن صرفهُ وتجفيفهُ على عشرات من الاقصاب وبين التماسك الاجزاء الذي لا يصرف جيداً الاَّ على اربع قصبات او خمس والغالب ان الاخير يكون اجود من الاول اذا أُحسن صرفهُ بجعل المصارف قريبة بعضها من بعض فتشق في الارض طولاً من اعلاها الى اسفلها ويجعل البعد بين المصرف والمصرف اربع قصبات او خمساً على الاكثر ولا عبرة بطول المصرف مهما كان ولكن العبرة بعرض القطعة التي بين كل مصرفين فاخيتها اسهلها صرفاً واقربها اصلاحاً حتى لقد تصلح الارض في سنة واحدة مهما كانت كثيرة الملوحة واذا وضع حطب القطن في هذه المصارف وردمت بقيت تصرف من اسفلها واعيد سطحها الى الزراعة فتجود المزروعات فيها اكثر مما تجود في غيرها فلا يخسر الفيط شيئاً من مساحته

ولا بد من تعميق المصارف الى آخر ما يمكن بالنسبة الى المصرف العمومي الذي تصب فيهِ ويجب تنظيفها من وقت الى آخر مما يتجمع فيها من الاتربة والحشائش التي تمنع جريان الماء فيها . ويجب ان يزيد الاهتمام بالمصرف على الاهتمام بالري

واذا كانت الارض لا تصرف بالراحة لانخفاضها عن المصرف العمومي فهي طبعاً مما

يروى بالراحة فيجب ان تحفر لها مصارف كما تقدم تصب في مصرف عمومي لها وتوضع عليه طلبا رافعة ترفع الماء منهُ وتصبه في المصرف العام والانفاق على الطلبا الرافعة هنا للصرف كالانفاق على الطلبا الرافعة في الاطيان التي لا تروى بالراحة ويجب ان لا يكون الاهتمام بها اقل من الاهتمام بطلبا الري

صلاحية مياه الصرف

يظن البعض ان مياه الصرف كلها غير صالحة للارواء وهذا غير صحيح فاذا كانت الارض كثيرة الاملاح المضرَّة بالزراعة فالمياه التي تصرف منها غير صالحة لارواء غيرها وهذا نادر جدًّا في الوجه القبلي من القطر المصري وغير كثير الاَّ في الجهات السفلى من الوجه البحري . واذا كانت الارض خالية من الاملاح التي تضرُّ بالزراعة فالمياه التي تصرف منها تكون اجود من مياه النيل واجود من المياه التي تروى بها عادة لانها تكون حاوية لكثير من المواد التي تغذي المزروعات وقد ذابت فيها من الارض التي صرفت منها

ورب معترض يقول ان كانت هذه المياه صالحة للري وللزراعة فلماذا صرفت من الارض والجواب انها تصرف منها لسببين الاول انهُ حين صرفها يتخلل الهواء التربة بدل الماء الذي يخرج منها والهواء يساعد على حل المواد المعدنية وجعلها غذاء للجذور الثاني ان الجذور قد تتعفن بوجود الماء حولها أي يتولد فيها وعليها مولدات العفن فتتلف ولكن هذا لا يمنع ان يكون الماء صالحًا جدًّا لارواء الارض الجافة

وليس من الحكمة اجراء مياه المصارف كلها الى بحر الروم قبل فحصها فحصًا كيماويًّا ووجودها حاوية املاحًا تضرُّ بالزراعة لان اضاعتها من غير موجب خسارة كبيرة على القطر وهو في اشد الحاجة الى الاكثار من ماء الري والى تغذية المزروعات . وقولنا هذا لا ينفي وجوب الصرف فالصرف لازم على كل حال ولكن مياه الصرف قد تكون ضارَّة بالزراعة فيجب صبها في مصرف عمومي تجري به الى بحر الروم وقد تكون مفيدة لها فيجب الاحتفاظ بكل نقطة منها

ومن الامثلة التي تؤيد ما تقدم ان اراضي الفيوم المنحدرة نحو بحيرة قارون يصرف بعضها في بعض وتختلط مياه الصرف من عاليها بمياه الري التي يروى بها واطئها ومع ذلك فالاطيان السفلى القريبة من البحيرة تأتي بمحصولات من القمح والذرة والفول والبرسيم والقطن كاجود الاطيان المصرية . فلو كانت مياه الصرف كلها ضارَّة على حدٍّ سوى للزم ان

تكون تلك الاطيان بوراً لا تنبت شيئاً - وقد تتجمع فيها بعض الاملاح من ركود الماء فيها وتتخرر منها من غير صرفه فتضر ولكن يكون ضررها من قلة الصرف لا من ان الماء الذي اتاها كان حاوياً مقداراً غير عادي من الاملاح فاضرّ بها . وهذا لا ينفي ان تكثر الاملاح في بعض الاطيان العالية من اهمالها فتصير المياه التي تصرف فيها كثيرة الاملاح وتضرّ بالاطيان التي تصرف اليها

العلف والمواشي

ان غلاء العلف في العام الماضي من الفول والتين والشعير اضرّ بمواشي القطر ضرراً كبيراً فلم نرَ في ستة من السنين المواشي نحيفة عجفاء كما رأيناها هذا العام حتى ثيران الوسايا الكبيرة نراها نحيفة لا تستطيع ان تعمل ما كانت تعمله قبلاً من الاعمال الشاقة في الحرث والتقصيب ومن المقرر ان الجسم النحيف الضعيف لا يكون شديد المقاومة للامراض الوبائية كالاجسام الممتلئة قوةً ونشاطاً ولذلك لا يزال الطاعون البقري ينتك بمواشي القطر مع ما اتخذ من الوسائل لاستئصاله . وما دامت الاطيان قليلة واثمانها غالية وكذلك اثمان الحاصلات فلا نرى مندوحة لاهالي القطر عن الاكثار من استخدام الآلات البخارية بدل المواشي لان علف المواشي صار غالياً جداً واذا لم تعلف جيداً ضعفت وتعرّضت للامراض ولم تعد قادرة على القيام بخدمة الزراعة - وهذه المسألة من اهم المسائل الزراعية في القطر المصري

المواشي المجربة

لما اكثر فتك طاعون المواشي في القطر المصري جلبت الجمعية الزراعية الخديوية ثيراناً من بلدان مختلفة وفي جملتها ثيران مجربة يبقى الفن طويلة القرون وقد اشترينا البعض منها على سبيل التجربة واقمناها على التقصيب مع الثيران البلدية التي من اجود الانواع ومضى عليها الآن بضع سنوات وهي تعمل مع المواشي البلدية وقد اكد لنا مفتش زراعتنا انها تفوق الثيران البلدية نشاطاً وهمة وصبراً على التعب الشديد وانهُ اذا رأى قطعة ارض صعبة الحرث او صعبة التقصيب ارسل اليها هذه الثيران فحرثتها او قصبتها حسب المراد وهو لو ارسل اليها الثيران البلدية لعجزت عنها او لتعبت فيها تعباً شديداً . والظاهر ان اقليم القطر المصري لا يضرها لانها تأكل مثل غيرها ولا تزال على نشاطها ونحن نشغلها في مديرية الغربية قرب قلين فعسى الذين اشتروا من هذه الثيران ايضاً ان يذكروا ما رأوهُ من امرها

حياة البزور

للبزور او البذار او التقاوي حياة محدودة ولا عبرة بما قالهُ البعض من ان حبوب القمح التي وجدت في ايدي المومياء المصرية زرعت فنبتت فان هذا القول وجد غير صحيح والذين زرعوا البزور لم يدققوا فنبت في الارض بزور اخرى غيرها لان حبوب مانيت دلت على انها من قمح غير القمح المصري القديم ولا يزال كثير من البزور المصرية التي وجدت في المدافن القديمة معروضاً في دار الآثار المصرية وهي كلها سوداء كالفحم ولا اثر فيها للحياة

والغالب ان البزور التي تزرع في الجنائن تعيش او تبقى صالحة للزرع من سنتين الى تسع سنوات كما ترى في ما يلي

بزور البصل والذرة تبقى صالحة للزرع سنتين

بزور الحلبون والجزر والقرنبياء والفاصوليا تبقى صالحة للزرع اربع سنوات

بزور الخرشوف والكرنب والقرنبيط والخيار والخس والبطيخ واليقطين والفجل والاسباغ والكوسى والطماطم واللفت تبقى صالحة للزرع خمس سنوات

بزور الفول تبقى صالحة للزرع ست سنوات

بزور الكرفس والباذنجان تبقى صالحة للزرع سبع سنوات

بزور الهندباء (الشكوريا) تبقى صالحة للزرع تسع سنوات

وتختلف هذه المدة ايضاً باختلاف الاقليم والحر والرطوبة . والظاهر ان جدة البذار وقدمهُ يؤثران في محصولهِ او ثمرهِ فاذا كانت بزور البطيخ جديدة ابنة سنة فقط كبر نبات البطيخ وقلَّ ثمرهُ واما اذا كان عمرها اربع سنوات او خمساً كان ثمرها اكثر كثيراً

واذا جفت اثمار الكستنا والجوز ونحوها لم تعد تفرخ . والنباتات البرية التي تبذر في ارض من نفسها وتفرخ من غير زرع اذا جمعت بزورها في الخريف ثم زرعتها في الربيع جادت اكثر مما تجود البزور التي تقع في الارض وتبقى فيها كل فصل الشتاء ثم تنبت في الربيع

ويجب ان يكون المكان الذي يحفظ فيهِ البذار او التقاوي جافاً مطلقاً للهواء ولا يحسن ان تحفظ التقاوي في اوعية ضابطة تمنع تخلل الهواء لها . وقد يحفظ الناس التقاوي في آنية من الصفيح منعاً لوصول السوس اليها . ولكن السوس يضر بها غالباً قبل وضعها في تلك

الآلية فلا يكون وضعها فيها وافياً فما . والطرق التي افادت في حفظ البزور من الفوس انما تفيد بقتل بيوض الفوس وديدانه الصغيرة قبلما تكبر وتفقر البزور لا بمنع امانها عن وضع بيضها على البزور لان الامات تضع بيضها على البزور وهي في الحقل او في الجرن (البيدر)

قلنا ان البطيخ النابت من بزور جديدة يكون قليل الثمر لا كالبطيخ النابت من بزور قديمة فما ادرانا ان هذا الحكم لا يقضي على القطن فهل جربت الجمعية الزراعية الخديوية زرع القطن من تقاوي عمرها ستتان وثلاث سنوات واربع سنوات وقابلت بينها وبين القطن المزروع من التقاوي الجديدة في الجودة وعود اللوز ومقدار المحصول

هذه مسألة من اهم المسائل الزراعية وقس على ذلك كل المزروعات فان الاسلوب الجاري فيها كلها عدم تعتيق البزور بل اخذ تقاوي هذا العام من محصول العام الماضي

مررنا بالامس في غيط مزروع قطناً وقطنهُ متوسط الجودة ولكن ما وقع منهُ قرب المراوي وقرب نزول المياه الى المصارف بعد الري جيد جداً وكذا القطن الذي في اطراف الغيط وهذا كلهُ مما يمكن تعليلهُ بالري والصرف وتخلل الهواء للتربة ولكن في وسط الغيط اختلاف في نمو القطن لا يعلل بذلك فترى هنا شجرة اجود من غيرها جداً وهناك شجرة اضعف من غيرها وهذا الاختلاف غير ناتج عن اختلاف في جودة الارض بل عن اختلاف في التقاوي نفسها او عن اختلاف في زرع البزور فان البزرة قد تكون ضعيفة من اصلها وقد تكون قوية من اصلها وما يصدق على القطن يصدق على كل المزروعات فيجب ان تجرب التجارب التي توصل الى معرفة اجود التقاوي لاختيارها

توزيع الاطيان في القطر المصري

كان عدد الملاك في القطر المصري سنة ١٨٦٦ لا يزيد على ٧٦٧٢٦٠ نفساً اما الآن فعددهم ١٣١٠٠٨٨ نفساً فالزيادة في عدد الملاك كبيرة جداً في هذه السنوات القليلة تدل على اهتمام الوطنيين بامتلاك الاطيان وعلى توفر المال لدى صغارهم حتى صاروا من اصحاب الاطيان فقد كان عدد الوطنيين الذين يملك الواحد منهم ٥ افدنة فاقل ٦٠٨٣٧٣ نفساً فصار عددهم ١١٦١٨٠ فكان عددهم يتضاعف في ١٢ سنة اما غير الوطنيين الذين من هذا النوع فكان عددهم ٢٧١ فصار ٢٧٦٥ اي زاد ٦٤ نفساً لا غير وزاد ايضاً عدد كبار المالكين الذين يملك الواحد منهم ٥٠ فداناً فاكثر فكان ١٠٣٨٩ وكانوا يملكون ١٦٦٦٤٤٧ فصاروا ١٠٩٣١ وهم يملكون الآن ١٨٠٠٦٤ اي زاد ما يملكونهُ ١٣٣٦١٧ فداناً . وعدد الملاك بين هذين

الحدين نقص ونقص ايضاً ما يمكونهُ ولكن المجموع كلهُ بقي زائداً زيادة كبيرة كما تقدم وعدد الافدنة التي يملكونها زاد ٣٣٤٨٣٥ فداناً

اهم مزروعات القطر

اهم مزروعات القطر المصري الآن القطن والذرة والرز والقمح والفول والشعير والقصب والبرسيم فالقطن يشغل نحو ٢٢ في المئة من الاطيان والذرة نحو ٢٤ في المئة والرز نحو ٣ في المئة والقمح نحو ١٥ في المئة والفول نحو سبعة في المئة والشعير نحو ٦ في المئة والقصب نحو نصف في المئة والبرسيم نحو ٢٢ في المئة

المديريات والارض المزروعة

	مساحة الارض المزروعة	القابلة للزراعة
اسيوط	٤٠٥٤٧٠	٦٩٧٨
اسوان	٠٥٦٩١٦	١٧٩٠٩
البحيرة	٦٥٢٣٣١	١١٦٣٧٢
بني سويف	٢٢٢٥١٣	٨٩١٠
جرجا	٣٠٤٨٦٣	٨٦٠٧
الجيزة	١٦٩٥١٥	٤٧٠٧١
الدقهلية	٤٩٠٥٢٥	١٠٦٧٧٧
السويس	١٤٨٧	٤٦٨٥٨
الشرقية	٥٤٤٣٦٨	٨٢٦٣٤
الغربية	٢٩٥٧٨٠٣	٥٥٨٤٣٦
الفيوم	٣٠٦٦٣٤	٤٠٠٥٧
القليوبية	١٨٢٣٢٣	٢٣٦٠٠
قنا	٣٠٦٨١٥	٤٠٣٠٠
المنوفية	٣٤٥٧٩٠	٣٦٤٣
المنيا	٣٧٩١٥٩	١٢١٨٩

نخل القطر المصري

المديرية	عدد النخل	عدد الملاك
البحيرة	٢١٤٨٠٢	١٠٣٤٠
المنهلية	١٢٤٤٤١	١٥٠٢٠
الغربية	٣٤٩٠١١	١٨٠٤١
المنوفية	٠٣٧٦٤٢	٠٩٤٤٩
القليوبية	١٩٨٠١٩	١٤٦٤٦
الشرقية	٨١٦٦٤٠	٨٨٦٠٨
اسيوط	٧٣٠٠٣٨	٧٧٥٥٧
اسوان	٧٠٥٩٦١	٦١٣٣٣
بني سويف	١٨٧١٢٥	٢٧٦٨٠
الفيوم	٤٣٧٧٥٦	٣٨٢٩٦
جرجا	٥٦٦٧١٦	٦٢٣٣٣
الجيزة	٤٣٥٦٠٣	٣٠٩٢٣
المنيا	٤٨٨ ٢٣	٥٣٩٧٨
قنا	٦٢٣٨٥٧	٦٥١٢٦
العريش	٤٦٤٢٩	٢١٠٠
السويس	٣٩٤٧	١٥٤
المجموع	٥٩٦٦٠٠١	٥٧٥٦٨٤

الصناعة المصرية منذ مئة عام

(٧)

صناعة التفريخ

هذه الصناعة قديمة العهد في الديار المصرية ولها معامل في جهات عديدة منهُ أخصها في الوجه البحري

ويتون هذه المعامل بوجهٍ عام من الطوب المجفف بالشمس على شكل مستطيل قائم الزوايا يقيمون على كلٍ من جوانبهِ صفًا من الغرف ذات طبقتين يعترض بين كل غرفة وأخرى حائط من الطوب في نصفهِ الاعلى نافذة كبيرة يمرّ فيها العامل من غرفةٍ الى أخرى تباعًا . وجميع سطوح الطبقتين العليا والسفلى مقببة وفي وسط كل منها فتحة فتستخدم الفتحة العليا لاجل خروج الدخان ودخول الهواء والسفلى للاتصال بين الطبقة السفلى والطبقة العليا

ويرصفون البيض في ارض الطبقة السفلى بعضهُ الى بعض في رصيفين احدهما فوق الآخر فيضعون في كل غرفة نحو خمسة آلاف بيضة ويحمون الطبقة العليا بإيقاد الزبل والتبن الناعم ممزوجًا بالتراب الناعم

ويكون هناك ثلاثة انفار فيقيمون النار بعد ذلك نهاراً وليلاً ويتعهدون البيض بالتقليب ويتفقدونهُ من حين الى آخر لعزل الانتاف [1] عند اول تفريخ البيض الذي يبدأ في اليوم الحادي والعشرين من هذه الحضانة الصناعية

وفي كل هذه المدة يجب ان تكون الحرارة معتدلةً فتماثل ما أمكن حرارة الزقاء [2]

ويستفرخون البيض في الشتاء دفعتين او ثلاث دفعات متوالية فيستعملون نحو مئتي الف بيضة سنويًا في كل معمل يفرخ ثلاثة ارباعها فقط . ولكن ارباب المعامل لا يهمهم ذلك لانهم لا يشترون البيض غالبًا بل يرد اليهم من الفلاحين فيردون لهم اربعة فراريج

(١) النتف الفرخ حين يخرج من البيضة

(٢) الدجاجة القاعدة على بيضها وهي الرائدة بلغة مصر

(كتاكيت) مقابل كل ست عشرة بيضة . ويباع البيض كل مئة منهُ بنحو عرشين والفراريج كل ١٠٠ نفت بعشرين غرشاً اي بعشرة اضعاف ثمن البيض

(٨)

صيد الطيور والاسماك

يشغل صيد الطيور البحرية عدداً عديداً من سكان القرى المجاورة لبحر الروم والبحيرات التي في شمالي الدلتا فيصطادون البط وسائر الطيور المائية . واهم الطيور التي يصيدونها في سبتمبر واكتوبر السمان . فينصبون لصيده اشراكاً على الشواطىء البحرية ترتفع نحو متر او متر ونصف عن الارض متجهةً اتجاهاً عمودياً . فيصل السمان الى الشاطىء منهوكاً من التعب في اجتيازه البحر من البلاد الاوربية فيسقط[1] في طيرانه ويعلق في الشباك التي تعترض في طريقه فيصطادون منهُ سنوياً كياتٍ لا يحيط بها العد

اما صيد السمك فعام في جميع الجهات ولهُ محلات خاصة على ضفاف بحيرتي البرلُّس والمنزلة أهمها قرية بلطيم في جوار بحيرة البرلُّس ويليها عدد من القرى على شاطىء هذه البحيرة وجميع اهلها صيادو سمك . وفضلاً عن صيد الاسماك فان عدداً عظيماً منهم يشتغل بتقديد بيض سمك البحر المالح وعمله بطارخ

ويستولي احد رؤساء البكوات على عوائد صيد السمك من هذه البحيرة فيبلغ دخلهُ من ذلك سنوياً نحو ١٠٥٠٠ فرنك (اي اربع مئة جنيه مصري تقريباً) . ويبلغ عدد الصيادين فيها نحو ٤٠٠

واهم مكان للصيد على شواطىء بحيرة المنزلة قريتا المطرية فان لاهاليهما نحو مائة وخمسين قارباً وذلك نصف مجموع قوارب الصيد في هذه البحيرة

وما يصطادهُ اهالي المطرية من السمك يرسل بعضهُ الى المنصورة ونواحيها والبعض الآخر وهو الاكبر الى دمياط حيث يقدّدونهُ ويبيعونهُ في القاهرة وبلاد الشام

الصناعة السورية

انتهينا في هذا الجزء من تلخيص الفصول التي كتبها المسيو جرار عن الصناعة المصرية في عهد الحملة الفرنسوية اي منذ مئة عام . ويظهر منها ان الصناعة المصرية كانت حينئذٍ

(١) سقط الطائر مرّ على وجه الارض

اوسع منها الآن من وجوه كثيرة فلم تزد الاَّ صناعة نقش النحاس وصناعات الورش التي ادخلها الاوربيون لتصليح الآلات البخارية ونحوها وعمل المركبات . والسبب الاكبر لقلة رواج الصناعة في هذا القطر عدم وجود قوَّة رخيصة فيه لادارة الآلات والادوات فليس فيه فحم حجري ولا فيه قوة مائية اي ماء متحدر لادارة الآلات . فلما رخصت مصنوعات الاوربيين بما اخترعوهُ من الآلات الكثيرة وباستخدام القوتين الطبيعيتين الفحم الحجري والماء الجاري لم تعد المصنوعات الوطنية تستطيع ان تناظر المصنوعات الاوربية فخسر الصناع وابطلوا الصناعة او لم يتقدموا فيها بحسب تقدُّم البلاد

ويظهر لنا مما كتبهُ فولنه وغيرهُ من السياح عن الصناعة السورية في ذلك الحين ومما رأيناهُ نحن منذ خمسين عامًا ان الصناعة السورية كانت كالصناعة المصرية تغني السوريين عن المصنوعات الاجنبية فلم يكونوا يجلبون من مواد اللبس الاَّ الطرابيش المغربية والجوخ الافرنجي اما المنسوجات الاخرى من القطن والصوف والحرير فكانت تنسج كلها في البلاد من غزل رجالها ونسائها وكذلك الاحذية كانت تصنع كلها في البلاد من جلود تدبغ فيها والامتعة الخشبية كانت تصنع في البلاد من اشجارها فكانت البيوت تسقف بالواح وجسور وعروق (رقائد) من جنوب البلاد وصورها وكذا الصناديق والخزائن والمسارج والمقاعد والسكملات فانها كلها كانت تصنع في البلاد من خشب البلاد . والفرش واللحف والوسائد والملاءات كانت تصنع كلها من اقمشة البلاد وكان يؤتى بالحصر من مصر ولكن الاكياب والبلس والبسط كانت تصنع في البلاد وآنية الخزف على انواعها من خوابي وقدور وصحاف وسرج وجرار وابارين كانت تصنع في البلاد مدهونة وغير مدهونة . وكل الادوات الحديدية كانت تصنع في البلاد من حديد البلاد فان اهالي لبنان كانوا يبكرون الحديد في شعرة بعلبك وغيرها ويصنعون ادواتهم منهُ من الاسحال الكبيرة الى المسامير الصغيرة ومن السيوف الى السكاكين . ويقال انهم كانوا يجدون الفضة في جبال صور وصيدا ولعل الفضة التي كانوا يجدونها ليست معدنية بل من النقود القديمة اما النحاس فكانوا يجلبونهُ من الخارج صفائح كما يجلب الآن ويصنعون منهُ كل الآنية النحاسية وكانوا يصنعون شيئًا من الزجاج يقوم بحاجاتهم . ولو انقطعت البضائع الخارجية عن سورية في ذلك الحين لما افتقر السكان اليها

ثم ضعفت الصناعة السورية برخص المصنوعات الاوربية حتى كادت تتلاشى ولكن سورية ليست مثل مصر من حيث القوة فان فيها فحمًا حجريًا صالحًا للوقود وهو قريب من

مناجم الحديد وحديدها من اجود ما يكون وفيها قوة مائية كثيرة ويمكن زيادتها ايضاً باقامة الخزانات في سفوح الجبال اي بها اهم لوازم الصناعة فلا شيء يمنع ان تصير مثل سويسرا او بلجكا او فرنسا او انكلترا من هذا القبيل فيصير اكثر اعتماد اهلها في معيشتهم على الصناعة مع الزراعة كما كانوا منذ مئة عام ويتقدمون عما كانوا عليه حينئذٍ على نسبة تقدُّم الامم الراقية في هذا العصر

ولم يكن هذا القول ممكناً منذ سنتين لانهُ كان يسهل على معمل اوربي ان يرسل وزيراً او والياً فيتلف اكبر معمل سوري اما الآن فلم يعد ذلك في حيز الامكان بل صار من المحتمل ان يقاطع الوطنيون البضائع الاوربية ايضاً فتزيد المصنوعات الوطنية رواجاً وقد زيدت رسوم الكمرك على البضائع الاوربية الى الحد الذي يقال لهُ حماية

لكن المعامل تحتاج الى اموال طائلة لانشائها والبلاد فقيرة منهوكة فلا بدَّ لها من زمن لاسترجاع قوتها

باب تدبير المنزل

قد قصدنا بهذا الباب ان نلمَّ فيهِ بكل ما يهم المرأة ان تعلمهُ معرفةً من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

في اي سن يصح الزواج

آراء سيدات مختلفات

اشتهرت فتاة انكليزية اسمها ماي ساتن بطول باعها في تدبيج المقالات العمرانية والاجتماعية وحدة ذهنها في ذلك . وقد اجتمع بهذه الفتاة منذ ايام بعيرة مكاتب جريدة الديلي ميل وسألها لماذا لم تتزوج الى الآن فاجابتهُ انهُ لاني لم ابلغ الخامسة والعشرين من العمر واريد ان زواج الفتاة قبل هذه السن خطأٌ وتسرُّع مضرٌّ لانها تكون غير ناضجة في اميالها وذوقها جاهلة نفسها وواجبات الزوجية والتي يعوزها ادراك ذلك كلهِ قبل الزواج لتستطيع حسن القيام بما يفرضهُ عليها بيتها والمجتمع الانساني . والفرد منا في عصرنا الحاضر لا مناص لهُ من التفكير في علائقهِ بالجماعة غير مقتصر على الاهتمام بامر نفسهِ ولو كنا كاسلافنا الاقدمين نقطن الغابات

والخراج لصبح لنا الزواج ونحن صغار في السادسة عشرة او الثامنة عشرة من العمر »

ولما وصل هذا الجواب الى جريدة الدالي مايل فتحت للسيدات باب المناقشة في موضوعه فكتبت اليها المؤلفة الروائية السيدة ستاترما يأتي معارضة رأي الكاتبة الاولى قالت « ان الناس كلهم مندوبون للزواج من قبل الطبيعة فاذا لم يتزوج الواحد منهم كان مخطئاً او عاجزاً ولما كان الزواج محتوماً علينا كان الاسراع فيه خيراً من تأخيره واضاعة الوقت سدى »

وكتبت سيدة اخرى ما يأتي :

« التأخر في الزواج افضل لهناء المعيشة البيتية من الاسراع فيه وان كان الزواج الباكر حسناً في ظاهره غالباً موقعهُ من النفس في اول الامر فلهُ مقابل ذلك مخاطر لا تخفى فقد تحب الفتاة وهي في الثامنة عشرة رجلاً فاذا بلغت الخامسة والعشرين انقلب حبها احتقاراً . وبناء على ذلك ارى للفتاة ان لا تقدم على الزواج الاَّ وهي في الثلاثين اذ تكون قد عرفت شؤون الحياة والدنيا كما هي لا كما يصورهُ لها الوهم فلا يفوتها ان زوجها مثل غيره رجل لا ملاك وان لهُ حسنات وسيئات وان الطبيعة البشرية بعيدة عن الكمال

« واما الرجل فارى ان يكون اكبر من زوجته بخمس سنوات فيتقدم على الزواج وهو في الخامسة والثلاثين »

وكتبت اخرى وهي عزباء :

« ارى الزواج الباكر خيراً من المتأخر لان الرجل كما تقدم في السن تمكنت من نفسه عادة النقد بطول الاختبار فلا ينظر الى زوجته بالعين التي تنظر بها واما الفتيان الذين هم في عنفوان الصبا فلا تكون لهم خصلة النقد والتمحيص هذه بل ينظرون الى الامور من وجوهها المشرقة المنيرة و يغتفرون معائب الزوجة وربما حسبوا عيوبها محاسن فيتبادل الزوجان الحب الشديد ويكونان تبعاً في تم الحياة »

هذا ما قالتهُ هذه الفتاة الانكليزية واحسن ردٍّ عليه ووجزهُ قول الشاعر العربي :

وان قليلَ الحب بالعقل صالحٌ وان كثيرَ الحب بالجهل فاسدُ

وكتبت مؤلفة كتاب « الزواج الحديث » ما يأتي :

« لا ينكر ان اقتران الفتيان والفتيات الذين في ريعان الشباب كأن يكون الزوج في العشرين والزوجة في الثامنة عشرة من اجمل المظاهر وادعاها الى انشراح صدر الناظر ولكنهُ مظهر خادع وجمال غرَّار لاننا اذا التفتنا رأينا معظم الذين يتزوجون في هذا السن بعيدين عن الفتاء والرشد في معيشتهم لا يعرفون كيف يديرون شؤونهم ولا كيف يتفاهمون ولا اي

الاصدقاء والصديقات يجب ان يختاروا لمعاشرتهم وكيف لا يكونون كذلك والفتاة تتقلب امیالها ثلاث مرات او اربعاً بين الثانية عشرة والخامسة والعشرين وتتقلب امیال الشاب اكثر منها في المدة المذكورة

« ثم ان الشاب الغض الصبي يكون طائشاً خفيفاً معجباً مكبّاً على الملاهي والملذات شديد الحب لنفسه بعيداً عن نير الزواج وانما يعتاد احتماله تدريجاً على تقدمه في السن

« ولا أرى للفتاة تقييد نفسها بالزواج الاّ بعد ان تختبر شيئاً من احوال الحياة وشؤون الرجال ولعلّ اصلح سن لزواجها سن الخامسة والعشرين وزواج الرجل سن الثلاثين

« وكيفما كان الحال فاني احذر الشبان والشابات من الاندفاع في تيار اول حب يتسلط على افئدتهم فلا يطيعوه طاعة عمياء ساعين الى التزوج بمن يحبون لانهُ قلما يكون الحب الاول الاّ عن طيش واغترار فلا يصح التعويل عليه »

وكتبت سيدات أُخرى انكليزيات رأياً من احسن ما جاء في هذا الباب ومحصلهُ ان العمر لا يصح حسابهُ مقياساً ثابتاً بل يجب اعتماد المدارك مقياساً فقد تكون ابنة الثانية عشرة افصح لساناً واصح ادراكاً وارصن طبعاً من ابنة الثامنة والعشرين . وما يقال في الفتيات من هذا القبيل يقال في الشبان ايضاً ادوار مرقص

اعتناء المرأة بمنظرها

كتبت جريدة ولدن الانكليزية النصائح الثانية للنساء اللواتي جزن سن الشباب ودخلن سن الكهولة قالت مخاطبة المرأة التي من هذا القبيل

ان كانت مشاغل البيت وهموم الحياة قد جعلتكِ تهملين منظركِ فاشعري الاقدار ولم تعودي تهتمين كيف تظهرين للذين يرونكِ فاعلمي ان المرأة تسرُّ دائماً بان لا تظهر شيئاً امارات الكبر والاهمال لا في قامتها ولا في وجهها ولا في ثيابها . واعتناء المرأة بنفسها ليس من قبيل التباهي والعجب الباطل كلا بل هي مضطرة اليهِ لكي تسر زوجها واولادها فانهم يحبون ان يروها على احسن ما تكون وهذا لا يكلفها من الاهتمام الاّ دقائق قليلة كل يوم

فعليكِ ان تغتسلي يومياً اذا استطعت ذلك وان تكثري من استعمال الفرشاة لشعركِ وان تستريحي بعد الغداء ولو ربع ساعة استلقي فيها على ظهركِ واغمضي عينكِ ونزهي افكاركِ عن كل المشاغل والهموم ولو لم تنامي

واخرجي الى الهواء النقي كل يوم فان الهواء والشمس لازمان لصحة الاجسام وانتعاش

الابدان لزومهما للازهار والرياحين واذا كنت تكثرين المشي في البيت فلا داعي للمشي الكثير خارجاً لان زيادة تعب الجسم لا تفيد ولكن اذا كنت قليلة المشي في البيت تعوضي عنهُ بالمشي خارجاً في نور الشمس والهواء المطلق

واذا ظهرت الغضون حول مخريكِ وعينيكِ فاقفلي الطرق لازالتها فرك الجلد هناك بادة مغذية مثل قشدة اللبن فركاً لطيفاً بالتأني

والاكثار من شرب الماء نافع لانهُ ينظف الامعاء والجسم . ونظافة باطن الجسم ضرورية كنظافة ظاهره

والرياضة الجسدية ضرورية لقليلات الاشغال البيتية ولكن المرأة التي تتحرك كثيراً في بيتها لا حاجة بها الى الرياضة بل هي محتاجة الى الراحة

واذا خفت من ان تسمني كثيراً فلا اسهل من مقاومة السمن بتقليل الاكل ولاسيما المآكل السمنية والشوية والكربية وتكثير الرياضة . وامضغي طعامكِ جيداً

اشغال النساء

رأينا بالامس رجلاً وقف امام دكان يقال وطني فاشترى منهُ عنباً وتفاحاً وكان في الدكان رجل فوزن لهُ ما اشتراهُ ووضعهُ في سلة وغطاهُ واراد المشتري ان يدفع اليهِ الثمن فاشار لهُ الى امرأة جالسة امام باب الدكان ليدفع الثمن اليها وهي وطنية ايضاً فاستلمت منهُ الثمن وردت لهُ ما بقي لهُ لانهُ سلمها ريالاً والثمن اقل من ذلك وهذا المنظر نادر في بلادنا لان النساء قلما يتعاطين الاعمال واذا تعاطينها لا تكون الرئاسة لمنَّ فيها ولكنهُ غير نادر في اوربا وقد زاد شيوعاً في هذه الايام وهو الذي قوَّى المرأة الاوربية ووسع مداركها ولعلَّ نساء الفلاحين واهالي البنادر اللواتي يتعاطين الاعمال اقرب الى رجالهنَّ في مداركهنَّ من نساء المدن اللواتي لا يتعاطين عملاً بل يكتفين باللبس والزينة

وقد تعدَّدت اعمال النساء في اوربا فهنَّ يتعاطين الاعمال الحسابية ومسك الدفاتر في الدكاكين والمخازن والمعامل والمحلات التجارية وتجليد الكتب والرسم والتصوير والتطبيب والصيدلة وخياطة الثياب ونظم الازهار وتزيين البيوت وزرع الجنائن وحفظ الكتب وتمريض المرضى والتصوير الشمسي وعمل البرانيط والتعليم عدا الاعمال الكثيرة التي يعملها النساء عندنا كغسل الثياب وطبخ الطعام والغزل والنسج ولا يكتفين بعمل هذه الاعمال في بيوتهنَّ بل يعملنها لغير لاجل التعيش

فهل الاصلح للامة كلها ان يحصل نساؤها معيشتهن كالرجال او الاصلح لها ان ينقطع نساؤها لتدبير بيوتهن وتربية اولادهن . هذه مسألة من المسائل التي كثر فيها الاخذ والعطاء ولا يزال مجال القول فيها واسعاً

لزوم ايام البطالة

ما يجب عمله فيها وما هي منافعها

لا شيء اشرح للصدر وابهج للنفس من الراحة بعد العناء . فالراحة من لوازم الحياة . لا جرم ان لكل عمل قسطاً من العطلة ولكل حركة نصيباً من السكون . فالآلات الميكانيكية التي لا يفتر عن تشغيلها اقرب الى التلف من امثالها التي تراح ولو يوماً في الاسبوع

هذا شأن بني الانسان فان الراحة لازمة لهم بعدما يجهدون العقل او الجسم في اشغالهم واعمالهم اليومية والاَّ ما استطاعوا القيام باعمال عظيمة الشأن فاطلب الراحة بعد العمل الطويل الشاق كلما وجدت اليها سبيلاً . لانك اذا واصلت جهادك عراك الوهن والكسل ولم تقوَ على اتمام عمل

ان الشيات الفواتي يرغبن في ان يكنّ صحيحات الاجسام والعقول محترمات في الهيئة الاجتماعية نافعات لبني البشر طويلات الاعمار المسرّة تملأ صدورهن تلزمهن الراحة والنزهة بل يجب عليهن ان يشعلن كيف يوفرن قواهن ويحافظن عليها ايام البطالة . فاذا كانت الغاية التي نتوخاها من الراحة ان نعود الى اعمالنا بهمة ماضية وجأش رابط كان علينا ان نفكر في ما يجب عمله في اثنائها وفي ما لا يجب . فما يجب هو ان نأكل في اوقات لا تتعداها بين الغياض والرياض حيث يخطر النسيم اذا كان ذلك ممكناً ونستحم ولكن لا نمكث في الماء الاَّ قليلاً ونرتدي ملابس غاية في البساطة ونكنها ملائمة لمذوق السليم . وليكن طعامنا ناضجاً ومغذياً ولنستنشق الهواء النقي جهد طاقتنا ولنم في حجرة قليلة الاثاث بعدما نفتح كواها اوكوة واحدة على الاقل وما لا يجب علينا هو ما يخالف هذا

ولربّ معترض قال اني فأيت عن بياني وتعديته الى علم حفظ الصحة . نعم ان الصحة هي الحلّ الوفي الذي يرتبط بسعادتنا فلنوثق عرى صداقتنا معهُ ولاسيما ايام الصبوة والاَّ كانت حياتنا عذاباً وآلاماً وبئس الحصاد

روت كاتبة يشار اليها بالبنان لما كتبتْ في التربية والاخلاق انها اذا لم تعنَ بصحتها ولو بضعة ايام صارت حدقاً لسهام التجارب لان النفس من مقومات الجسم فاذا كان الجسم عليلاً

كانت النفس مكتئبة ذليلة . فالنفس سرٌّ لو جوهر من جواهر الحياة اللومُ يتعبها والمُّ يقيضها ألا يكفيها ان الحياة اتعاب وآلام فلماذا تزيد الطين بلة

***

الصحة اعظم اركان السعادة فلنحافظ على ما نملكهُ منها ونحرص عليهِ حرص البخيل على درهمهِ . ولكن حكماء بعيدي النظر فلا تقضي ليالي الراحة في المراقص والملاهي ولا نمشي مسافة تنهك قوتنا ولا نلعب العابًا رياضية مدة طويلة والشمس في سمت الرأس . فما نحتاج اليهِ ايام البطالة هو ابتشاق ما في وسعنا من الهواء النقي وتناول الطعام الخفيف المغذي وترويض اجسامنا ترويضًا كافيًا لان يسرع الدورة الدموية فيها ويوهج وجوهنا . ولكن العابنا سارة مبهجة وصديقاتنا وفيات يشاركننا في السراء والضراء ولنطالع كتبًا نافعة ولا نقتل الاوقات بقراءة القصص والروايات التي تفسد اخلاقنا وتشوه آدابنا . ان فعلنا ذلك شعرنا بانشراح في صدورنا وتجديد في قوانا العقلية والجسدية فاذا عدنا الى مزاولة اعمالنا اليومية لم يعترنا ملال ولا اصابنا كلال

***

خير الصديقات في ايام البطالة صديقة طاب حديثها فكان فكاهة بهجية تفرج الكرب وتسري الحزن فتحول البكاء الى ضحك والكآبة الى مسرة . يظن البعض و بعض الظن اثم ان هذه الصفات غير محمودة في البنات ألا انهم لفي ضلال . اذ اجمل خصال تزين الفتاة ثلاث رقة حديث وصفاء قلب وصدق ولاء فالاولى تبعدها عن الاغتياب والثانية تجعلها كالبلور نقاوة وصفاء في اقوالها وافكارها والثالثة تكثر لها من الصديقات . هذه خصال اذا مزجت معًا كان طبع الفتاة سبيكة من ذهب وكل فتاة تستطيع التخلق بها

اذا دخلتن المجتمعات فاغتنمن الفرصة لتكنَّ مخلوقات « مخلوقات » مبهجات يطفح السرور عليكنَّ وليكن هذا السرور خلقًا فيكنَّ لا تستطعن خلعهُ وابدالهُ كما تخلعن الملابس وتبدلن الازياء

قالت عالمة اميركية محترمة الرأي من العلماء . يجب علينا ان نربي فينا ميلاً الى المزل والمجون وان ندرك تمامًا ان النكات اللطيفة خير ما يجب علينا التدرع بهِ ولكن في موضعهِ على ان العقبة الكؤود التي تحول دون الكثيرات منا هي انهنَّ طبعن على التعمق في الافكار والميل الشديد الى الرزانة حتى انهُ ليعسر شرح صدورهن . فقد يسرني ويضحكني ما تراهُ جارتي تافهًا لا مبهج فيهِ . ومع ذلك فانني تكون مفطورة على المجون كثيراً ما تستطيع ان تؤثر في

اشد الناس رصانة . فما اسعد البيت الذي يضمّ فتاة او فتاتين تفكهان سائر الذين فيه برقة حديثهما وفكاهته

تقول فتاة وما الذي افعلهُ لاكون لطيفة المحضر حسنة المعشر فاوصيها بما يلي

اذا جمعت فكاهة او نكتة مستطرفة فعيها وقصيها على آخرين بأسلوب يبهجهم . واذا خرجت لزيارة او نزهة فكوني آذاناً واعية وعيوناً ناظرة . راقبي الحوادث واحكيها لاهل بيتك ولا تأخذ منك الخيلاء والصلف فتكوني محبة لذاتك تكتمي الامور الحسنة في صدرك وتبخلي بها على غيرك

***

ذكرت ما تيسر لي مما يجب عملهُ في ايام البطالة لانهُ سهل المأخذ قريب التناول

اذا لم يستطع احد السفر من قارة الى قارة او من بلاد الى بلاد لم يصعب عليهِ ان يؤم الخمائل الغناء او ساحل البحر في بلادهِ . ففي كل بلاد مناظر طبيعية يبسم لنا وجهها ونسمع خرير مائها ونستنشق بليل هوائها . هذه الطبيعة لها ملابس ترتديها وحلى مبهجة تظهر فيها ولما كان بحثنا في صغائر الامور يوصلنا الى كبائرها وجب علينا ان ندرس صغائر عجائب الطبيعة التي نراها في كل مكان وزمان . والا لم تتضح لنا صدورها ولا اطلعنا على اسرارها . فاقصدي ايتها الفتاة تلك المناظر كانك احدى بنات الطبيعة تحنين اليها حنين الابنة الى امها . ولا تكتفي بالذهاب والاياب على شاطىء البحر مثلاً . او بالتخوص الى الجبال والوديان وانت جامدة لا تفكرين في شيء . فليس هذا كل القصد من النزهة الحقيقية . نعم انك تتمتعين بنقاوة الهواء وشعة الشمس ولكن ينقصك امرٌ مهمٌ جدًّا . ينقصك ان تتراءي اسرار الطبيعة فهي لا تحادثك وانت مصغية الى انغام توقع على ذوات الاوتار او الى جلبة قوم اشتد بينهم الحجاج والنجاج . وانما تحادثك متى كنت منعزلة منفردة فتبوح لك باسرارها ولا تكتم عنك خبآتها

***

ان ثوبك وتقوشهُ التي تزينها بمنظار مكبر وانت على شاطىء البحر لا تعد شيئاً مذكوراً في جانب الوان ماء البحر الذي لا تدركين لهُ آخراً فهل خطر في بالك ان تضعي لتلك الالوان اسماء او تري لها نظائر واشباهاً . فباذا شبهتها أبالفضة ام بالجشت ام بالوان القمري ام بالزمرد ام بالورد ام بالزيتون ام باللازورد . كثيراً هذه الالوان تتلاعب على وجه ذلك الماء وتمتزج بعضها ببعض فتملأ الصدر مسرّة وانشراحاً . هل تأملت امواج البحر في يوم عاصف وهي مقبلة الى الشاطىء متسابقة متسارعة حتى اذا وصلت اليهِ تكسرت على

الصخور الحاذية للشاطئ وقبلما تتناثر ترتفع هالة من الزبد يروق العين منظرها . أرأيت هذه الامواج المرغية وجداً . لزبدة حقداً تثب على الصخور كأنها افراس البحر والزبد الابيض يطوق عنقها . انك اذا انعمت النظر في ذلك طويلاً مرات عديدة ادركت فوراً لماذا كان اليونان القدماء يسمون ذلك الزبد خليلي تيتون إله البحر

***

اذا ولعت بالطبيعة لم تبقَ همتك فاترة وانية لانك ترين نفسك في اضطرار الى الوقوف على اسرارها فلا تنظرين اليها حينئذٍ نظراً عادياً بل تنشدين مع شاعرنا العربي

فقل لمن يدعي بالعلم فلسفةً علمت شيئاً وغابت عنك اشياه

تلك المناظر تسبك ضوضاء المدن ومتاعب الحياة فما اجمل وانفع التمتع بها في ايام البطالة

***

اذا قصدت البحر فسيري على شاطئه وتشاهدي قاصديه فقط فانت لم تعرفيه ولا سرحت ناظريك على سطحه الفسيح ولا اصغيت الى انغامه المختلفة الحانها فهو عروس الطبيعة بلا منازع بل هو اجمل من كليوباترا . تمرُّ به الاجيال والاحقاب ولا تقوى على تشويهه او تغيير الوان مائه او تنويع هيئاته وصفاته . ومهما ترددت عليه لا تستطيعين ان تدركي السر اليسير جداً من اسراره ولكنك مع ذلك تنشرحين صدراً وتقرين عيناً وتطيبين نفساً

***

اذا لم يكن في وسعك قضاء ايام البطالة في السواحل البحرية فان الطبيعة تنتظرك فوق الجبال والتلال وفي الهاد وعلى الانهار وتحت باسق الاشجار

ففي كل حين تنقل حواسك الخمس الى العقل والنفس اموراً تبهجها . الصباح يسرك ببشارة النبات وأريج الازهار ويريك الندى طليها كأنه درر متناثرة . في تلك الفترة ترسل الشمس اشعتها الذهبية الى الارض فتنعشك كأنها اكسير الحياة . والظهر يبلك امنيتك من نعم الارض وخيراتها . والعصر يعيد اليك قوتك بلطف هوائه ثم تميل الشمس الى المغيب فتتصيد الطيور او كارها اسراباً اسراباً مغردة تغريداً منعشاً فتشعرين حينئذٍ ان هذه الدنيا دار سعادة وصفاء وان ايام البطالة احلاها واهناها

***

استقبلي الصباح فوق الجبال واطيلي تأملك في المروج الخضراء والاشجار الغياء تري بساطاً سندسياً يرقشه يد الطبيعة بالوان لا تحصى ولا تحصر . ولا يستطيع ملك مهما بلغ

ترفهُ وعظم شأنهُ وفخم سلطانهُ ان يكون لهُ في قصرهِ مثيل لما فاتت على قنن الجبال ابهج منهُ في قصرهِ خاطراً واسعد حالاً

سيري في الغابات وشعي نظرك في اشجارها الكثيفة الملتفة على اشكال مخروطية كأنها اعمدة هياكل فتشعري بالتعبد والخشوع فهل هذا الشعور وراثة عن اجدادنا القدماء او هو امر فطري فينا يجعلنا نميل الى العبادة والسجود حيث نكون في اماكن تشبه الهياكل على ان هذا يرفع نفوسنا ولا شك الى خالق هذه الطبيعة ومبدعها العظيم

***

كما توغلت في الحقول والحراج ادركت السر الذي جعل القدماء يدخلون على قصصهم الخرافية اخبار آلهة الماء وافعال الجن والغيلان وهذا من اسرار الطبيعة . ان في اصغر النباتات او الازهار اسراراً وقد امتازت الطبيعة بامر هو انك كلما حدقت النظر اليها وامعنت الفكر فيها او نظرت اليها بالمنظار ظهر لك الاحكام والاتقان فيها

لا اقصد بما تقدم ان أضطرك الى درس علم النبات وانما ازيد ان احثك على فحص الازهار والنباتات التي ترينها ايام البطالة وتسألي البعض عنها فلا تبقي جاهلة امرها هكذا يجب ان تقضي ايام البطالة حيث الطبيعة تبسم والسعادة تدرك

عربتها عن اللغة الانكليزية

اسما جبرائيل منصور

باب التفريط والافراط

امة الملايو

هو مبحث علمي في امة شرقية اسلامية وضعهُ حضرة صالح افندي جودت احد موظفي نظارة الحقانية واهداهُ الى الامير تنكو منصور نجل السلطان عبدالحميد حينما شاء راجا قدّاح وقدّاح هذه احدى ولايات ملقّا التابعة لمملكة سيام . والذي يقرأ لقب صاحبها يظنها من الممالك الكبيرة ولكن يقال في هذا الكتاب ان عدد سكانها ٧٢ الف نفس اي عشر اهل القاهرة فهي مثل قسم من اقسام عاصمتنا في عدد السكان او هي مركز من مراكز المديريات

المصرية وساحتها كلها لا تزيد على ٣٠ الف كيلومتر وسكان عاصمتها عشرة آلاف نفس فهي مثل اصغر بندر من بنادر القطر المصري

لكن الكتاب ليس مقصوراً على تلك البلاد بل يتكلم على امة الملايو او الجنس الملقي الذي يسكنها ويسكن غيرها من البلاد المجاورة لها وهو جنس معدود بين اجناس البشر . وقد اسهب المؤلف في الكلام عن هذا الجنس فذكر تاريخهُ ووصف لغتهُ وقال ان بعضهم يكتبها بالحروف العربية ومن الغريب ان ليس فيها لا فاء ولا قاف ولا كاف ولا لام وهم ينطقون بالراء غيناً وعيناً . ويكتبون اعدادهم بارقام عربية . وقال ان ملوك قدح يدَّعون انهم من نسل احد قواد الاسكندر المكدوني

والكلام على امة الملايو بالذات مختصر لا يتجاوز عشرين صفحة وهو مشحون بالنوادر والحوادث التاريخية ومما قالهُ في وصفهم انهم قصار القامة قلما تجاوز قامة الرجل منهم متراً وستين سنتيمتراً وهم اقوياء البنية اصابعهم طويلة دقيقة وارجلهم ثقيلة في البرقوية عليه وجماجمهم كروية منبطحة من الخلف وشعور رؤوسهم غزيرة الاَّ ان الشعر يقلُّ في اجسامهم والحاهم ولون بشرتهم بين السمرة والصفرة ووجههم مربع وعيونهم افقية عادةً الاَّ في بعض قبائلهم فانها قريبة الشبه بالمغول اذ ترى فتحات عيونهم مرفوعة نحو الاصداغ بانحراف ووجناتهم نامية العظام بارزتها وانوفهم قصيرة ولكن فتحاتها واسعة وفمهم واسع ايضاً وشفاههم غليظة واسنانهم ذات جمال بديع لولا انهم يسودونها لان سواد الاسنان جمالها عندهم وثديُ نسائهم صغيرة وليس لقوامهنَّ جمال قوام المنديات . وملابس رجالهم عادة سروال قصير ومحرمة تدعى في لغتهم سارنغ تستر نصفهم الاسفل وعمامة او قبعة من القش ويلبسون احياناً في اقدامهم احذية

« ونساؤهم يلبسن في خصورهن سارنغ (تكون من الحرير الملون عند ذوات الثروة وهي اشبه بالجزء السفلي من الحيرة) ثم يضعن شالها على رؤوسهن فتستترها الى الجبهة . ويرفعن المئزر على ذراعيهن الى محاذاة الوجنتين ويمسكن طرفيه بيديهن فيشددنهُ بحيث تستر حافتهُ وجههن فلا ترى منهُ الاَّ العينين فهن في ذلك المئزر اشبه ببعض قرويات مصر ونساء الملايو يتحلين عادة بكثير من الحلى كالخواتم والاساور والاقراط والقلائد الخ

« ومن عادة الملايو نساء ورجالاً مضغ التبن واسمهُ « سيره » بلغتهم (وهو نبات يشبه شجرهُ شجر الفلفل وتمضغ اوراقهُ ولها مفعول مخي قابض) ويمضغون ايضاً جوز الاريك

« ينتفع » (وهو تمر النخل الهندي) تسود اسنانهم ثم هم يطلون اسنانهم زيادة على ذلك بطلاء اسود لماع

« اما منازلهم فهي عادة من الخشب مربعة الشكل ومقامة على اوتاد من خشب المبيو بحيث تصير مرتفعة عن الارض فتقيم تحتها ماشيتهم وهم يسكنون فيها ومنازلهم مكسوة بسعف النخل « اتب » ويصعد اليها بسلم واذا اوقدوا النار اوقدوها خارج المسكن خشية الحريق وانتقراء منهم يقيمون في زوارق صغيرة فوق الماء ويستظلون فيها بحصير يقيهم الشمس او المطر . وتجد قرام محاطة بسياج او سور من الطين وفي وسطها ميدان للاجتماع

« ومن ملاهيهم المراهنة بلعب الورق والزهر والشطرنج ومضاربة الديكة ثم الصيد والمقارعة بالسلاح

« ومن اسلحتهم السيف « كيوتغ » والخنجر « كريس » والمقلاع والسهام المسمومة والسباطانة (وهي انبوبة طويلة توضع بها كل صغيرة من الطين الجاف او غيره وينفخ فيها فتصيب الطيور الصغيرة في الصيد) وقد شاع عندهم الآن استعمال البندقية فابطلوا استعمال تلك الاسلحة القديمة . وكان اقرحسنهم مراكب « براو » مسلحة بمدافع طويلة ظلما ازعجت ذلك الارخبيل بغزواتهم حتى ارسل الله لها الهولنديين فكسروا من شكيمتهم

« وامة الملايو ذات صفات غريزية فاضلة فهم شجاعا ذكاء متوقد وحماس غريب وهم عزيزو النفس يترفعون عن الذل ولو تجاعة قد تقودهم الى حتفهم ولكنهم مع ذلك كثيرو الحذر في المعاملات وقد زعم بعضهم ان الملايو قساة القلوب خونة ولكن معاشرهم لا يلبث ان يعترف بما لهم من كرم الاخلاق وحسن المعاشرة والصدق في القول وحفظ العهود وهم في هاتين الصفتين الاخيرتين شهرة صادقة

« والملايو قوم معروفون بالملاحة والتجارة ومنهم يتخذ الاوربيون رجال بحريتهم في تلك الاقطار . وقد قال عنهم بعض عارفيهم « ان الملايو من الامم التي تعيش متكلة على غيرها وترزق من خدمة الامم الاخرى دون ان تسعى الى ترقية انفسها بذاتها »

« والملايو يحتقرون الزراعة ولذلك يعيدون بزراعة حقولهم الى العبيد . والعبد عندهم اما اسير حرب او مجرم دين

« ومن زراعاتهم الشائعة الارز والبطاطة والبن والقصب وهم يتغذون منها ومن السمك ولا يأكلون اللحوم عادة الا في المواسم والاحتفالات

« وللملايو استعداد فطري للصناعة ومن اشهر صنائعهم الحياكة والدباغة والتجارة وعمل الاسلحة والصياغة

« وهم قبائل متعددة يخضع بعضها لدول اجنبية وبعضها لامراء وطنيين . والنظامات السياسية لامارتهم المستقلة نظامات ارستوقراطية أي ان الامر فيها للامراء لا للامة فهي استبدادية . وعادة تكون تحت امر الحاكم عندهم (ويدعونهُ راجا او ماها راجا او جندى)

« ولم تزل عند الملايو عوائد حفظوها عن آبائهم او من خالطهم من الاجانب كالهنود والعرب وقد احترمت تلك المستعمرة هذه العوائد ومنها امكان افتداء القتيل بالمال بدل اعدام القاتل . وحق من اهين في دعوة خصمه الى البراز . والرجل منهم يشتري المرأة ولهُ عليها حق مطلق . والفقير غير القادر على ثمنها يشتغل الى أجل مسمى عند اهل العروس ويكون عملهُ لديهم مهرها . ويقدم اولاد الاخت عندهم في الميراث عن اولاد الاب

« وقد كانت الديانة الشائعة بين الملايو في الوثنية حتى القرن الثالث عشر فقدم اليها تجار من مسلمي الفرس نقلوا اليها آداب العرب وديانتهم . وكان قدوم هؤلاء التجار في البدء الى ملقا فاعتنق اهلها الاسلام . ومن المحقق في التاريخ ان هؤلاء التجار انتقلوا الى سومطره حيث كانوا بها في عصر ماركوبولو الرحالة الشهير . وقد زاد نفوذهم في تلك الجزيرة حتى القرن الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر للميلاد حتى حملوا حكام تلك البلاد على اعتناق الديانة الاسلامية . واخذ الاسلام من ذلك الحين ينتشر بينهم ويؤلف بين قلوبهم بالحسنى والمعروف »

وقد رجح المؤلف ان اصل الملايو من اواسط جزيرة سومطرة وعندنا لو ذكر الادلة التي ترجح ذلك

ووصف املاك هولندا في تلك الجهات لان سكانها من امة الملايو . وقال « ان السائح اليوم في المستعمرات الهولندية ببلاد الملايو يندهش من حسن نظامها ويفتتن بجمال مزروعاتها ولكن يحزن لحالة اهلها . يسير مثلاً في حقول القصب (قصب السكر) فيجد امماً تتلمح ارضاً لا تملكها وتزويها بعرق جبينها لتنتج منها رزقاً وخيراً لغيرها قد يربو على عشرات الملايين من الفرنكات في العام . يجد امماً قد انغمست بصيرتها فهي تظن ان الارض ليست لها وان من الواجب عليها ان تشقى لغيرها امماً خدمت العز فظلت المذلة من واجباتها الاجتماعية ورأت الترفع عنها امراً قريباً . ويقول لنا الاوربيون بعد ذلك انهم يطاردون الرق في العالم . وما تلك الحالة الا نتيجة الجبن الذي ابتت هولندا تلك الامم عليه ولم تشأ ان تكشف عنهم

ظلماته فكانت سياستها في ذلك سياسة استبدادية ظالمة سياسة استعباد وحب ذات وعدم احترامها لجنس الانسان »

واسهب المؤلف في هذا الموضوع على هذا النسق ولا بدَّ من انهُ ناقل لانهُ لم يقل انهُ طاف في تلك البلاد واطلع على احوال اهلها وقد يكون ما قالهُ صحيحاً كلهُ او دون الصحيح ولكن ترى هل كانت حال اولئك الناس اصلح قبلما اخضعتهم هولندا وهل حال اليمانيين والحجازيين في اليمن والحجاز وسلطانهم امير المؤمنين اصلح من حال الملايو في جاوى . وهل حال السكان في العراق وبر الاناضول وبلاد ايران والمغرب الاقصى اصلح من حال الملايو الخاضعين لهولاندا . وهل كان حال السكان في القطر المصري منذ اربعين سنة اصلح من حال الملايو الآن . وهل حال السكان في قدح وهي غير خاضعة لهولاندا اصلح من حال السكان في جاوى . وهل والي اليمن او والي الحجاز احسن فيهما من راجا ولاية من ولايات جاوى او غيرها من املاك هولندا »

هذا ومن المحقق ان الحكومة الهولندية انفقت على تعليم الوطنيين في جاوى ومدورا سنة ١٩٠٦ نحو ١٩٠ الف جنيه وكان عندها للوطنيين ٣٢٣ مدرسة فيها ٧٤٦٨٤ تلميذاً من اولادهم عدا ٤٤٦ مدرسة اهلية لم فيها ٥٠٣٤٤ تلميذاً وعدا المدارس الخاصة باولاد الرؤساء الوطنيين وعدا المدارس العالية وهي خمسة لتخريج المعلمين وفيها ٣٠٠ تلميذ . وقد اسهب المؤلف في ذكر جزائر فيليبين ولم يمدح الاميركيين بكلمة على ما فعلوهُ فيها من افعال الكرام وما انفقوهُ فيها من الاموال الطائلة فان اميركا تنفق على التعليم وحدهُ في جزائر فيليبين ٥٥٠ الف جنيه في السنة فلماذا لم تستحق كلمة مدح وهذا لا يمنع حث الاوربيين وغيرهم من امم اوربا على الرفق بغيرهم من الامم الخاضعة لهم ومعاملتهم كاخوة لهم في البشرية كما انهُ لا يمنع وجوب السعي في ترقية الامم الشرقية حتى تنال كل حقوقها الطبيعية

وقد اسهبنا في انتقاد هذا الكتاب لزيادة الاعتناء بهِ ولاننا نود من كتابنا الكرام ان ينصفوا غيرهم لان من لم يُنصف لم يُنصَف

شرح نهج البلاغة

أهدت الينا مطبعة دار الكتب العربية الكبرى المجلد الاول من شرح نهج البلاغة لابي حامد عبد الحميد بن هبة الله المدايني المعروف بابن ابي الحديد وهو كتاب حافل بالفوائد العلمية والتاريخية والادبية وفي المجلد الذي صدر منهُ خمس مئة صفحة كبيرة مطبوعة بحرف

دقيق خلا المتن فانهُ مطبوع بحرف كبير ومضبوط بالشكل الكامل . ومما يعاب بهِ طبعهُ ان الشرح متماسك كلهُ لا فاصل فيهِ يرتاح النظر اليهِ الاَّ حيث يدخل المتن وحيث يرد شاهد شعري وكثيراً ما تجد اربع صفحات او خمس صفحات ولا فاصل فيها مع ان في الصفحة منها ٣٥ سطراً طويلاً وجيدا لو اختار طابعو لكتاب الفصل في الصفحة الواحدة حيث يحتمل الكلام ذلك تسهيلاً للطالعة وجيدا ايضاً لو الحقوا الكتاب كلهُ اخيراً بفهرس على حروف المعجم يستدل بهِ على موضع كل حادثة او فائدة او نكتة مذكورة في الكتاب كما يفعل الافرنج حينما يطبعون الكتب العربية . وقد وصفهُ طابعوهُ بما يأتي

« ان علم التاريخ خصوصاً تاريخ الصدر الاول من الخلفاء اهم شيء عند المحققين اذ بهِ تعرف فلسفة التاريخ الموصلة الى معرفة ما يؤدي الى سقوط الدول وقيامها ومحاسن السياسة ورديئها ولم نقف على كتاب جامع لتلك الاوصاف يتتبع مجاري الحقائق من غير اعتساف ككتاب فيلسوف زمانهِ هبة الله المشهور بابن ابي الحديد الذي شرح بهِ نهج البلاغة للشريف الرضي من كلام امير المؤمنين الامام علي بن ابي طالب كرم الله وجههُ ومع هذا فقد جمع طرفاً واسعاً من الادب المتين من شعر المولدين والعرب والحكم ودقائق اللغة والكلام والفلسفة فيجد الاديب فيهِ بغيتهُ والمتكلم والفيلسوف فيهِ بهمتهُ مع مشرب عذب وخطب ومقالات في سائر المواضيع الانشائية والسياسية فلا غرو ان جاء الكتاب عشرين جزءاً كلها غرر وحوى من المحاسن ما لا يمكن حصرهُ الا بالنظر وقد عزت نسخهُ بل كادت تكون في حكم المفقود فرأينا من الخدم الادبية والآداب الانسانية طبعهُ لتعميم نفعهِ فاستحضرنا جملة نسخ لتصحيحهِ وبذلنا غاية الوسع في تحسينهِ وتنقيحهِ وضبطنا كلام امير المؤمنين بالشكل لتسهل قراءتهُ وتصفو مرآتهُ وجعلناهُ في اربعة مجلدات كل مجلد يشتمل على خمسة اجزاء وقد فجز منهُ المجلد الاول المشتمل على ربع الكتاب فتقديماً للفوائد نعلن العموم ان كل من اراد ان يقتنيهُ فليطلبهُ من دار الكتب العربية الكبرى بشارع خان جعفر بجوار سيدنا الحسين « لمصطفى البابي الحلبي واخوتهِ) ويدفع ٧٠ قرشاً صاغاً ويستلم ربع الكتاب ورق بدون تجليد ويأخذ وصلاً بالباقي لحين تمام طبعهِ ومن كان خارج القاهرة فليرسل ٧٦ قرشاً صاغاً فيرسل اليهِ الجزء مجلداً بالبريد وفي خارج القطر واحداً وعشرين فرنكاً »

باب المسائل

(١) مذهب دارون عند العرب

طرابلس الشام - محمد افندي صالح غنوم.

بينما كنت اطالع في كتاب نظام العالم للشيخ الطنطاوي الجوهري وقع نظري على كلمات بخصوص دارون صفحة ٣٩ قال فيها «ان ما قالهُ دارون هو جزء مما قالهُ العرب فانهُ نظر في ظاهر الطبيعة وصور الحيوان واشكالهِ وقال بما قال وظن اشتقاق بعضها من بعض ومن العجيب ان بحثهُ اقتصر على رابطة القرد بالانسان اما بحث العرب فانهُ اوسع دائرة واقوى مدركاً لانهم لم يروا القرد كافياً في الارتباط لاختصاصهِ بالصورة والتقليد واشركوا معهُ ذات الصوت الجميل كالبلابل وغيرها. وقال ان بحثهم تناول كل موجود من جماد ومعدن ونبات وحيوان وانسان اما دارون فقد حصر بحثهُ في قوس من الدائرة المسماة عندهم دائرة الوجود فهل هذا صحيح نرجو من حضرتكم الجواب عليهِ

ج. كلاً غير صحيح والظاهر ان قائلهُ لم يقرأ كتاباً من كتب دارون ولو قرأ فصلاً واحداً من كتبهِ لما قال شيئاً من ذلك ولا نظن ان العرب قالوا شيئاً في هذا الموضوع لم نطلع عليهِ او زادوا شيئاً عما قالهُ فلاسفة اليونان والرومان قبلهم

واذا اردتم ان تعرفوا الفرق بين ما فعلهُ هؤلاء كلهم وبما فعلهُ دارون فقابلوا بين رجل رأى خريطة الولايات المتحدة الاميركية منذ ثلاثين او اربعين سنة وسكك الحديد آخذة في الانتشار فيها فقال في نفسهِ ان هذه السكك لا بد من ان تمر فوق الانهر فلا بدَّ للانهر من جسور (كباري) حديدية كبيرة متينة لحمل القطرات الكبيرة. فاذا أخذت مناجم الحديد التي قربها مناجم فحم لاجل سبك الحديد وصنعت معامل كبيرة لعمل جسور الحديد فاني اربح من ذلك ربحاً طائلاً وتصير اموالي تقدَّر بالملايين. وبين كارنجي الذي قادهُ اشتغالهُ في سكة الحديد الى هذا الفكر عينهِ فسعى في تحقيقهِ بكل جهدهِ وواظب على السعي سنين كثيرة فربح الاموال الطائلة حتى صارت ثروتهُ تقدر بخمسين مليوناً من الليرات الانكليزية ودخلهُ اليومي باكثر من ثمانية الاف ليرة انكليزية وصاحبكم المفكر الاول ليس عندهُ عشاء ليلة

أولم تقرأوا ما قالهُ العلامة ولس الذي يعدهُ قيِّماً لدارون في المذهب الداروني وقد بحث في هذا الموضوع والف فيهِ مجلدات

كثيرة بانيًا ما كتبهُ على بحثهِ الطويل في اماكن شتى وبلدان مختلفة فانهُ قضى اربع سنوات في اميركا الجنوبية يبحث في حيواناتها ونباتاتها وثماني سنوات في جزائر ملقا يبحث في حيواناتها ونباتاتها وقادهُ بحثهُ الطويل الى الحكم بان انواع المخلوقات متولدة كلها بعضها من بعض بواسطة الانتخاب الطبيعي وهذان الامران أي تولد انواع الحيوانات والنباتات بعضها من بعض وحدوث هذا التولد بواسطة الانتخاب الطبيعي هما الشيئان اللذان وصل اليهما دارون بعد ابحاث طويلة وتجارب كثيرة استغرقت عشرين سنة وشغلاً مستمرًّا فيها لكن ولس قال عن نفسهِ ان نسبة نصيبهِ من هذا الاكتشاف او الاستنتاج الى نصيب دارون كنسبة اسبوع الى عشرين سنة فما قولكم في من يقول قولاً او يرتاي رأيًا ولا يؤيدهُ بدليل نظري ولا عملي ثم تدعي انهُ سبق العالمين العاملين اللذين يقضون العمر في البحث والتحقيق والامتحان الى ان يصلوا الى النتيجة العلمية

(٣) تاريخ الدولة العثمانية

ومنهُ لماذا لم تكملوا تاريخ الدولة العثمانية

ج · لما شرعنا في كتابة هذه الخلاصة من تاريخ الدولة العثمانية لم يخطر لنا اننا نجد فيهِ اشياء يجب الاغضاء عنها فوقفنا وقفة الحيرة بين الامانة للتاريخ والتأدب في ذكر الاموات ولاسيما اذا كانوا عنوان عز الدولة ولم نجد بين الكتب التي وصلت اليها يدنا ما ينفي ذلك وبينما نحن في هذه الحيرة علمنا ان الحكومة عزمت على تأليف تاريخ مدقق للدولة العثمانية نقلنا لا بدَّ من انها تستطيع جمع ما لا تستطيع جمعهُ من المواد والتحقيقات اللازمة لهذا التاريخ ورأينا ان من الحكمة انتظار تاريخها لعلنا نجد فيه ما يوضح الحقائق فيكون اعتمادنا عليهِ ايضًا

(٤) دودة القطن وتاريخها

فراشة بالشرقية - شيخ العرب ابو هاشم علي قريط · ما رأيكم في دودة القطن واسباب نزولها هل هو ناشئ عن تأثير جوي او عوارض ارضية ومنذ كم سنة ظهرت هذه الآفة المضرة في الوجه البحري وكيف انتقلت الى الوجه القبلي

ج · ان دودة القطن وكل الديدان تتولد من الفراش كل نوع منها يتولد من الفراش الخاص بهِ · والفراش ذكر وأنثى فيتزاوج ويبيض فراشهُ دود القطن على ورق القطن وبيضها صغير جدًّا كحبوب الرمل ويخرج الدود الصغير من البيض ويكون اسود اللون عند اول خروجهِ ويتغذى من الورق ويكبر رويداً رويداً الى ان يصير طول الدودة منه خمسة سنتمترات فيغور في الارض ويصير زيزاً والزيز يصير فراشًا فيطير ويتزاوج ويبيض ويدور الدور على ما تقدم وفي انتهاء موسم القطن يشتو الزيز

ويبقى مختفياً الى حين نمو القطن في العام التالي وقد يظهر في زمن البرسيم ويأكلهُ والذي يبقى منهُ من سنة الى أُخرى قليل جدًّا لانهُ تعتريهِ امراض وآفات تهلكهُ ولكن البقية الباقية تولد الدود ثانية بكثرة اذا ناسبتها الاحوال الجوية

ونظن ان هذا الدود قديم في القطر المصري وكان يأكل غير القطن من المزروعات ولما انتشرت زراعة القطن نفسهُ على غيرهِ لانهُ يكون تلياً في الوقت الذي يسهل فيهِ نمو الحشرات وتقلُّ تقلبات الهواء ويظن البعض انهُ قبل الاهتمام بالري الصيفي كان البرسيم يقطع ثلاث مرات فقط ويبس ولكن لما توفر الري الصيفي صار البرسيم يروى ايضاً فتبقى الرية منهُ عائشة الى زمن نمو القطن فيعيش الدود عليها ويتناسل الى ان يكبر القطن ويصير غذاءهُ . وقد كثر ظهور دودة القطن اول مرة سنة ١٨٧٩ اي منذ ثلاثين سنة وكان ذلك على اثر فيضان ١٨٧٨ الذي كان عالياً جدًّا وبقيت مياههُ عالية الى الصيف التالي فروت البرسيم وابقت دودهُ حيًّا الى ان كبر نبات القطن فانتقل اليهِ

اما الانتقال من الوجه البحري الى الوجه القبلي فسهل لانهُ يتمُّ تدريجاً من البلاد الواحدة الى التي تجاورها . والرياح تحمل الفراش وتنقلهُ مسافات طويلة

(٤) فعل انعكف

طرابلس الشام . مرشد افندي الياس ابو كرم . لقد اكثر الشيخ ناصيف اليازجي في مقاماتهِ من استعمال كلمة انعكف . ويظهر من مراجعة القاموس وغيرهِ من كتب اللغة ان وزن انفعل لا يجيء من مادة عكف فكيف فرط منهُ ذلك

ج . لا نتذكر اننا رأينا هذه اللفظة في مقامات اليازجي واذا وردت فيها بمعنى عكف اللازم فيكون ورودها تجوُّزاً او تكون مستعملة مطاوعة لعكف المتعدي وياحبذا لو ارشدتمونا الى المقامات او الصفحات التي وردت فيها هذه اللفظة

(٥) العقاب والنفس والصلاة

بغداد . هارتيون افندي موراديان . هل يمكن اثبات العقاب الابدي ووجود النفس وضرورية الصلاة من العلم الطبيعي المنتشر في عصرنا هذا

ج كلاَّ كما لا يمكننا ان نثبت منهُ ان اسم كان مرفوع واسم انَّ منصوب لانهُ لا ارتباط بين ما ذكرتم ومواضيع العلم الطبيعي فلا يمكن الاثبات بهِ ولا يمكن النفي ولكن لو قلتم انهُ يراد بالصلاة ان يغير الله مجرى الطبيعة فهل ذلك ممكن حسب مفاد العلوم الطبيعية او غير ممكن لاجبنا ان الذين يعترضون على فائدة الصلاة يقولون ان ذلك غير ممكن لان الله وضع لكون نواميس لا

يتعداها ولا يحيد عنها . ويسهل دفع هذا القول بانهُ اذا كان امامك كتاب على مائدة فهو يبقى عليها ابداً لان ناموس الجاذبية يقتضي ذلك ولكن يسهل عليك ان تقول لابنك ارفع هذا الكتاب عن المائدة فيرفعهُ اي يستعمل قوة تبطل قوة الجاذبية او تغير فعلها فاذا كان الولد يستطيع ذلك فلماذا لا تستطيع القوة الخالقة التي هي مصدر كل القوى ان تبطل قوةً او تغيرها اذا شاءت ذلك . بقي هل يسمع الله وهل يستجيب والجواب ان ذلك خارج عن مدار العلم الطبيعي فلا يقدر ان يثبتهُ ولا يقدر ان ينفيهُ ولكن ما لا يبحث فيهِ العلم تبحث فيهِ الفلسفة

(٦) العلم والشر

ومنهُ . اذا كان العلم ينقص الشر فهل يغنينا عن الدين

ج . ما هو العلم الذي تريدونهُ وما هو الشر وأي دين تعنون هل تعنون اليهودية او المسيحية او الاسلامية او البوذية او البرهمية او ماذا . وربما وجدتم ما تريدونهُ في ما يأتي : — اذا اريد بالخير ما ينفع الناس من الافعال التي يفعلونها وبالشر ما يضر الناس من الافعال التي يفعلونها فناموس بقاء الاصلح يقتضي بزوال ما يضرُّ الناس رويداً رويداً وبقاء ما ينفعهم لانهُ اذا فرضنا وجود قبيلتين متماثلتين في جزيرتين متماثلتين وقام في القبيلة الواحدة اناس يسعون الى ضرر غيرهم من ابناء قبيلتهم وقام في القبيلة الثانية اناس يسعون الى نفع غيرهم من ابناء قبيلتهم ضعفت القبيلة الاولى وقويت الثانية واذا استمرَّ ذلك تلاشت القبيلة الاولى وتلاشى الشر معها وتكاثرت الثانية وتكاثر الخير معها . ولا يبكت في الارض الا ما ينفع الناس ولذلك يستنتج الاكثرون ان مصير الناس الى الصلاح وهذا امر لازم عن ناموس بقاء الاصلح . ولكن لا شبهة في ان الاديان التي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر تفيد جداً في الوصول الى هذه الغاية

(٧) تأخر الاطفال عن التكلم

ابي سويف - كامل افندي فهمي . ما السبب في ان بعض الاطفال لا يتكلمون الا بعد مرور ثلاث سنوات او اربع من ميلادهم ثم ينطقون بكل صعوبة وربما يكون نطقهم غير فصيح

ج . الغالب ان ذلك يكون وراثيا وسببهُ ضعف في مركز النطق في الدماغ

(٨) علاج التأخر في التكلم

ومنهُ . ما هي الطريقة او الادوية الواجب استعمالها حتى يسهل على هؤلاء الاطفال التكلم عند بلوغهم السن المناسب

ج . تمرينهم على التكلم بالتكلم معهم دائما فانهم بصيرون يحاولون تقليد من يكلمهم

وذلك بمثابة تمرين مركز النطق فيقوى لان الانتباه اليهِ يوجه اليهِ الدم فتزيد تغذيتهُ ويقوى ويحسن ان يوضعوا مع اطفال يتكلمون جيداً فيحاولوا الاقتداء بهم

(٩) فوائد العقيق

خدا وندكار · نديم افندي رئيس المحكمة الابتدائية · ورد في الاحاديث النبوية ان للعقيق خواص مفيدة وهذا ما لا ريب فيهِ ولكن هل العقيق الاحمر اكثر فائدة من غيرهِ

ج · لم نجد هذا الحديث في صحيح البخاري ولا في صحيح مسلم ولا في مصابيح البغوي وقد يكون موجوداً فيها ولم نعثر عليهِ وسألنا عنهُ بعض حفاظ الحديث فقالوا انهم لا يتذكرونهُ وقال واحد منهم لعلهُ من الاحاديث الموضوعة · اما الباحثون في فوائد الجمادات فلم يذكروا للعقيق فائدة غير التحلي بهِ لجمال لونهِ واستعمالهِ فصوصاً للخواتم · واذا اردتم بالفائدة الفائدة الطبية فعلماء الطب لا يقولون بفائدة شيء لا يؤثر في الجسم تأثيراً فعلياً كأن يبردهُ كالماء البارد او يسخنهُ كالماء الحار او يلفظهُ كالجاريق او يدر اللعاب او يفرز الصفراء او يقتل الميكروبات التي في الدم او في المعدة والامعاء او نحو ذلك من الافعال العلاجية · ولا نرى للعقيق فعلاً من هذه الافعال فلا ندري كيف تكون منهُ فائدة دوائية او يكون منهُ ضرر

(١٠) سكان البلاد العثمانية

مصر · امين افندي احمد · كم عدد سكان البلاد العثمانية وما هي نسبة الاتراك الى غيرهم من الاجناس

ج · يتكرر علينا هذا السؤال ولا يوجد احصاء عند الدولة حديث يمكن الاعتماد عليهِ ولا بدَّ من انها تهتم باحصاء شعبها قريباً · ويرجح الآن ان عدد السكان في املاكها باوربا سبعة ملايين وفي املاكها باسيا ١٧ مليوناً وفي طرابلس الغرب مليون والجملة ٢٥ مليوناً واذا اضيف القطر المصري فعدد السكان نحو ٣٧ مليوناً وعدد الاتراك في اوربا نحو مليونين وفي اسيا نحو سبعة ملايين والباقون روم وعرب وارمن واكراد وغيرهم من العناصر المختلفة التي تتألف منها السلطنة العثمانية

(١١) المسلمون والمسيحيون في تركيا

ومنهُ · كم عدد المسلمين · وكم عدد المسيحيين في البلاد العثمانية

ج · عدد المسلمين في البلاد العثمانية عدا القطر المصري ١٥ مليوناً وعدد المسيحيين نحو ١٠ ملايين واما في القطر المصري فعدد المسلمين الآن اكثر من عشرة ملايين

باب الاخبار العلمية

الخيل الانكليزية قبل عهد التاريخ

بينما كان الناقبون ينقبون في مكان يسمّى « بيشوبس سورتفورد » ببلاد الانكليز عثروا على هيكل فرس في طبقة من التراب على عمق ست اقدام من سطح الارض واستنتج الدكتور ارفنج بعد اعمال النظر فيه انهُ هيكل فرس من الخيل البرية التي كانت في بلاد الانكليز في عصر البرونز اي قبل عصر التاريخ . على ان الزمان الذي تكوّنت فيه طبقة التراب التي وجد الهيكل فيها غير معلوم وما من دليل يدل العلماء عليه . وتبين من النظر في جمجمة هذه الفرس واسنانها وقوائمها انها كانت تختلف عن كل ما اكتشف من بقايا الخيل البرية التي كانت تعيش في بلاد الانكليز في آخر مدة من مدد الدور الرباعي (المسماة عند الجيولوجيين بالبليستوشين) وانها تشبه صنفاً من الخيل كان يعيش في عصر البرونز لكنها اكبر منهُ جثة

هذا والمتفق عليه عند العلماء ان الخيل لم تدجن في بلاد الانكليز الاّ في اواخر عصر البرونز او اوائل عصر الحديد وان الخيل الانكليزية كانت صغيرة الجثة لا يركبها الناس لصغرها وظلت كذلك حتى دخل قيصر بلاد الانكليز . ولكن اكتشاف هيكل الفرس الذي نحن بصددهِ يدل على خلاف ذلك فاذا ثبت ان هذا الفرس كان يعيش في عصر البرونز فلا بد من تغيير الرأي المتفق عليهِ والتسليم بوجود خيل كبيرة الجثة في بلاد الانكليز قبل عهد التاريخ

الارتفاع بالبلون

روت جريدة التيمس ان الملازم مينا والسنيور بياشزا ركبا البلون البتروس في ١٢ اغسطس (آب) الماضي وصعدا فيهِ من مدينة تورين حتى بلغا ارتفاع ٥ : ٣٨٧ قدماً اسيه ٣ ٧ الميل وهناك فتح احدهما مصراع البلون ليجعل يهبط بهما . واعظم ارتفاع بلغهُ الناس بالبلون قبل ذلك كان ٣٥٥٠٠ قدم فقط في ٣١ يوليو ١٩٠١ وهو اقل من هذا الارتفاع باكثر من ٣٢٠٠ قدم . وذلك يدل على الاعالي التي يمكن الناس ان يبلغوها بتحسين وسائط التسفس

زلزلة في اليابان

ورد على روتر من توكيو عاصمة اليابان ان اهالي اواسط اليابان شعروا بزلزلة شديدة في ١٩ اغسطس (آب) وانها دمرت كثيراً من مدينة ناجويا من مدائن اليابان التجارية. ومما يستحق الذكر ان الزلزلة دمرت هذه المدينة كلها تقريباً سنة ١٨٩١

ماذا يجري في المريخ

يهتم الفلكيون اهتماماً عظيماً برصد المريخ في هذه الايام وقد اذاع مرصد كيال ان بعضهم كان يرصد المريخ في ١٢ اغسطس الساعة ٢ بعد الظهر فرأى نقطة لامعة تنفصل عن الثلوج القطبية التي فيه وتغطي ارضاً منه في درجة ٣٢٠ من الطول. وروى راصد آخر انه رأى قطعاً مظلماً في الثلوج التي حول القطب الجنوبي من المريخ يومي ٢٠ و٢٣ يونيو (حزيران) على درجة ١٩٠ من الطول وان هذا القطع ينتهي بنقطة مستديرة اشد منه سواداً. وكان الاستاذ لويل قد رأى شقاً في المريخ على درجة ٣٥٠ من الطول في المريخ ثم رأى غيره هذا الشق في ٤ يوليو (تموز) بنظارة كاسرة قطرها ٢٧ منتتراً وظهر له انه يمتد على طول الثلج كله. وفي ذلك اليوم شاهدوا نقطة لامعة على حافة الثلج المظلمة على درجة ٣٠ من الطول في ذلك السيار

اكتشاف القطب الشمالي

فاجأتنا الشركات التلغرافية في اوائل سبتمبر (ايلول) باخبار الوصول الى القطب الشمالي. واول من وصل اليه رجل اسمه كوك يظهر انه اميركي وقد قصده في سنة ١٩٠٨. ووفق على قوله توفيقاً لم يوفقه رحالة قبله فتيسر له ما لم يتيسر لغيره. فقد ارسل تلغرافاً الى جريدة النيويورك هرالد يقول فيه انه وصل الى القطب الشمالي بعد ما قاسى ما لا يوصف من عذاب الجوع والبرد واكتشف براً تعيش فيه الوحوش الكبيرة التي يصطادها الاسكيمو وبراً آخر كثير الصخور والوعور. قال ومن حسن توفيقي اني وجدت صيادي الاسكيمو مجتمعين لصيد الدب ومعهم لحوم كثيرة ومئات من الكلاب القوية الشديدة على بعد ٧٠٠ ميل من القطب فقط فتيسر لي بذلك ان استعين بهؤلاء الرجال المجربين وان اتأهب من هناك لرحلتي الى القطب وقد ساعدوني مساعدة لا تثمن باعدادهم الرسوم التي اتبعها وبحثهم عن السبل التي اشير انا ومن معي منهم فيها فاصطحبت معي ١١ رجلاً و١٠٣ كلاب و١١ مركبة من المركبات التي تجرها تلك الكلاب على الجمد وسرنا من هناك في ١١ فبراير (شباط) ١٩٠٨. وخالفت من تقدمني فسافرت في الليل القطبي عوضاً عن

ان اسافر في النهار القطبي فلقيت من المشقات ما لا يوصف ولكني وجدت اخيراً الطرق التي تسير وحوش الصيد فيها فسهل ذلك علينا المسير وفي ١٨ مارس (اذار) اي بعد مسيرة شهر من الزمان بوحنا جزيرة هربرت وسرنا في البحر المتجمد الشمالي فوجدنا الضباب ينشأ على الدوام . ولما صرنا في آخر مرحلة من مسيرنا لم يكن معي غير اثنين من الاسكيمو و٢٦ كلباً وكنا نسير سيراً طويلاً ونصبر على الشدائد لان ما نراهُ من التقدم كان يشدد عزائمنا . فكنا نستريح في اكواخ من الجليد ونتقات باللحم المقدد والشحم والدهن ونشرب الشاي السخن . وما زلنا نسير في ضباب مظلم حتى استضاء يسيراً في ٣٠ مارس (اذار) فالتفتنا واذا الى القرب منا برٌّ جديد فقصدناهُ على بحر من الجليد لا اثر للحياة فيهِ ولما تجاوزنا درجة ٨٦ من العرض الشمالي وجدنا حقولاً واسعة من الجليد ولما صرنا بين الدرجة ٨٧ والدرجة ٨٨ رأينا علامات تدل على قرب البر منا وكنا في مئة الميل الاخيرة نرى البر كل يوم ثم تبين لنا ان ذلك كان كلهُ سراباً فحسبهُ برّاً وهو ليس ببر

ثم وصف اقترابهُ من القطب فقال : لم يكن معي حينئذٍ الاَّ اثنان من الاسكيمو و٢٦ كلباً وكنت ارصد الارصاد الفلكية كل يوم فوجدت في ٢١ ابريل (نيسان) انهُ لم يبق بيننا وبين القطب الاَّ ١٤ ثانية فقطعنا هذه المسافة القصيرة ووصلنا الى القطب حيث اقمنا يومين وكنا نجد الشمس دائماً في الظهيرة هناك لالتقاء جميع المواجير في نقطة واحدة ولا نجد شرقاً ولا غرباً ولا شمالاً بل كل شيء يظهر في الجنوب فقط . وكانت الابرة المغنطيسية في الحك تشير الى القطب المغنطيسي دائماً فكان عندنا اعظم فائدة

وفي ٢٣ ابريل (نيسان) غادر كوك ومن معهُ القطب الشمالي وقفلوا راجعين فقاسوا ما قاسوا من المشقات والاهوال وقلَّ معهم الزاد وحال الثلج والجد دون مسيرهم في شهر سبتمبر (ايلول) فاضطروا ان يقضوا اشهراً في كهوف تحت الارض حتى شرقت الشمس سنة ١٩٠٩ فعادوا الى جزيرتهم

وقد تلقى قوم هذا الخبر بالارتياب لانهُ يلزم عن بعض ما ورد فيهِ ان كوك قطع مسافة ٤٨٣ ميلاً في ٣٥ يوماً وذلك يفوق ما فعلهُ كل من تقدمهُ كثيراً وايضاً لان كوك لم يستصحب معهُ رجالاً من اهل العلم الذين نعول على قولهم غير اننا نكتب ذلك في اوائل سبتمبر واهل الدنمرك يستعدون لملاقاتهِ والاحتفال بهِ وارسلوا نسافة لاستقبالهِ ولا بد من نشر التفاصيل واتجلاء الحقيقة قريباً

عدد النجوم

يتفق الفلكيون تقريباً في تقدير عدد النجوم المحدد ويختلفون بعد ذلك كثيراً ففلكيو مرصد جرونكن يقدرون عدد النجوم التي من القدر الاول الى القدر العاشر ونصف بنحو ٦٩٧٥٥١ نجماً وفلكيو مرصد هارفرد باميركا يقدرون عدد هذه الاقدار بنحو ٦٠٤٠٠٠ نجم ولكن الاولين يقدرون عدد النجوم الى القدر الثالث عشر ونصف بنحو ١٤٥٨٢ نجماً والاخرين يقدرونها بنحو ٦٧٦١٠٠٠ فقط . والاولين يقدرون عددها الى القدر الخامس عشر ونصف بثمانية وتسعين مليوناً والاخرين يقدرون عددها الى القدر الخامس عشر بنحو ١٨ مليوناً

ويظهر من صور النجوم التي يصدرها مرصد كرينيج باتكلترا ان تقدير المرصد الاميركي اقرب الى الصواب والله اعلم

البوارج الهوائية والحروب المقبلة

يظهر ان قوماً حولوا وجوههم منذ اليوم عن البوارج البحرية وجعلوا ينظرون الى البوارج الهوائية ويقولون ان الحرب اذا شبت نارها في الازمان المقبلة فشبوبها يكون في الهواء لا على اليابسة ولا على الماء فقد انشأ بعض الكتاب الالمان مقالة في احدى المجلات الاميركية قالوا فيها ان قوة البلون زيلين وثباته قد ثبتا الآن للعيان بالتجربة والامتحان ولا بد انهما يؤيدان بزيادة العناية والاتقان الى سرعة تفوق سرعة البوارج في البحر مرتين او ثلاثاً . ومع ذلك لا تبلغ قوة الالات التي تحرك هذه البلونات اثنين في المئة من قوة آلات البوارج البحرية

وكذلك نفقة صنعها ومدة صنعها لا تبلغان ١٥ في المئة من نفقة صنع بواخر من الطبقة الاولى ومن مدة صنعها

وعليه جاء الزمان الذي فيه اكتشفنا عدة جديدة للحرب والقتال وهي عبارة عن بارجة هوائية تساوي في الكبر البوارج البحرية وتصير اكبر منها على تمادي الزمان . وهي تجري في الهواء على ارتفاع ميل عن سطح الارض وتقطع في الحرب من ٦٠ الى ٦٥ ميلاً في الساعة

وتصب على الارض ناراً آكلة لا تخطئ مرماها وتكون مع ذلك بمأمن من شر عدوها لان البندقية العسكرية لا يؤدي رصاصها الى أبعد من ١٦٥٠ يرداً عن سطح الارض ولم تخترع بعد مدافع تؤدي قنابلها في العلو اكثر من ١٢٠٠ يرد . وحسب انهم اخترعوا لذلك مدافع خصوصية فالبوارج الهوائية تتقي شرها بسرعة حركتها وخفة دورانها كالطير في الهواء فلا خوف عليها من عدوها الذي يقاتلها عن سطح الارض ولكن الخوف كله عليه لانه لا ينجو من نارها اذا سلحت بمدافع سريعة الاطلاق وقنابل وخصوصاً البنادق التي تطلق بالآلات فان كل بندقية

منها تصبُّ ٤٠٠ رصاصة في الدقيقة كما يصب الانسان الماء من الانبوب فنارها الحامية تأكل كل الشاة والفرسان الذين يبعدون الى حد ميلين عنها . ثم ان المدفعية الذين يكونون فيها يرون كل شيء على الارض بوضوح وجلاء لا يعلمها الا من ركب البالون ورأى الاشياء على وجه الارض

فالبوارج الهوائية تبطل اذاً الحروب البرية والبحرية المصطلح عليها الآن . وتبطل ايضاً نظام المدفعية والفرسان (الطوبجية والسيادة) اذ لا يكاد احد يرتاب اليوم في ان الناس يتصلون بعد سنين غير كثيرة الى صنع بارجة هوائية طولها ساوٍ لطول الباخرة موريتانيا اي ٧٩٠ قدماً . فهذه البارجة تكون حمولتها ١٢٥ طناً وتستطيع الذهاب من المانيا الى كل جهة من جهات اوربا والرجوع اليها توًّا من غير ان تنزل الى البر ويكون سيرها بسرعة ٣٥ ميلاً في الساعة وتبقى ثلاثة ارباع تلك المدة على ارتفاع ١٦٥٠ يرداً بمأمن من رصاص الاعداء واذا أُحسن تدبير وقودها تيسر لها البقاء في الهواء اسبوعاً او اسبوعين من غير ان تنزل الى الارض لتأخذ وقوداً غيره وتيسر لها ايضاً ان تنقل معها ٢٠ طناً على الاقل من الاسلحة والذخائر

وزد على ما تقدَّم رخص هذه البوارج الهوائية فان المانيا تنفق الآن اكثر من ٤٠ مليون جنيه في السنة على جيش عدده ٦٠٠ الف رجل تحت الخدمة و ١٢٠٠٠٠٠ رجل احتياطي . فلو صنعت اسطولاً هوائياً عدد بوارجه ٥٠٠ بارجة لما انفقت عليه اكثر من ٣ ملايين جنيه في السنة ولامكنها ان تضيف اليه كل سنة ١٠٠ بارجة جديدة بخمسة ملايين جنيه

وحينئذٍ تتغير الحرب من حال الى حال فالحرب كانت كل هذا الزمان قتالاً بين امتين مسلحتين او اكثر ولكنها تصير بعد صنع البوارج الهوائية قتالاً بين عدد وآلات يديرها بعض الرجال الخبيرين المجربين . ولا يخفى ان البوارج البحرية قللت عدد الرجال الذين ينزلون الى ساحة القتال اما البوارج الهوائية فتجعل عددهم اقلَّ من ان يذكر بالنسبة الى عدد امتهم وعليه يبطل النظام الحربي المعهود عندنا ويصير اعتماد الامم على قوة عقولها لا على قوة ذكورها فالسابق منها في صنع الآلات وفي الفتى هو الفائق في القوة والفائز في ساحات القتال

قالوا ولهذا بات الانكليز في قلق شديد لان تعويلهم في قوتهم هو على البوارج البحرية فالبوارج الهوائية تفتح عليهم باباً لم يكونوا يحلمون به ولا حيلة لهم في سده لانها غير مستعدة لذلك اقلَّ استعداد ولان معرفتها بادارة المراكب الهوائية لا تكاد تذكر كما ثبت بالتجربة في هذه الايام

فهرس الجزء الرابع من المجلد الخامس والثلاثين

٩٢٩ الطعام الكافي
٩٣٧ رسائل الاشاعة . للدكتور فارس نمر
٩٥٨ العنكبوت
٩٦٣ معجم الحيوان . للدكتور امين المعلوف
٩٦٩ مستقبل الهيئة الاجتماعية . خليل افندي يعقوب الخوري
٩٧٦ حمى البول الاسود . للدكتور نسيب تيشراني طبيب بمصلحة الصحة وجراح في الجيش المصري سابقاً
٩٧٩ اللغة العربية والتعريب . لولي الدين يكن
٩٨٢ تصديق النرائب
٩٨٥ السلطة للمال
٩٨٩ فلسفة شوبنهور . لسلامه افندي موسى
٩٩١ الميزانية العثمانية
٩٩٤ الاعيان والمبعوثان

---

٩٩٧ باب الزراعة * الحاصلات المصرية . اصلاح الاطيان بالمصارف . صلاحية مياه الصرف . الحلف والمواشي . المواشي المجرية . سياة البذور . توزيع الاطيان في القطر المصري . ام مزروعات القطر . المديريات والاراضي المزروعة . بخل القطر المصري
١٠٠٥ باب الصناعة * صناعة التفريخ . صيد الطيور والاسماك . الصناعة السورية
١٠٠٨ باب تدبير المنزل * في اي سن يصح الزواج . اعتناء المرأة بمظهرها . اعمال النساء . لزوم ايام البطالة
١٠١٦ باب التقريظ والانتقاد * امة الملايو . شرح نهج البلاغة
١٠٢٢ باب المسائل * مذهب داروين عند العرب . تاريخ الدولة العثمانية . دودة القطن وتاريخها . فعل الكهف . العقاب والنفس والصلاة . العلم والشر . تأخر الاطفال عن التكلم . علاج التأخر في التكلم . فوائد العنبر . سكان البلاد العثمانية . المسلمون والمسيحيون في تركيا
١٠٢٧ باب الاخبار العلمية * وفيه ٧ بلد

الدكتور جورج بوست